

٢٢٥



HARLEQUIN

روايات احلام



أريد حياتك ... فقط!

ميشيل ريد



www.rivaya.live

مكتبة رواية

أريد حياتك فقط !

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.ridaya.live

هذه الرواية إهداء خاص و حصري
رابط قناة روايات عبير على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تهتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات
عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية
الحصريّة و المميّزة

العدد رقم 225

میشیل رید

روایات احلام

الملخص

- لكل شخص ثمن يا كارولين، وأنا أريد أن

أؤكد من ثمنك هذا كل شيء... ..

- لن أصفح عنك قط لهذا..

منذ سبع سنوات وقعت كارولين في غرام

لويس فاركينز، ولأن لويس غدر بها فقد هربت

لا تريد أن تراه مرة أخرى..

والآن عادت إلى أسبانيا لأن أبها مدين
للويس بالمال، حيث أرغمت على الزواج من
هذا الأسباني القوي ذو النفوذ..
لكن الزواج من لويس لكي يضمن حصوله
على إرثه شيء، والوقوع مرة أخرى في غرامه
شيء آخر

...

فصول الرواية:

الفصل الأول : الرجل والعقرب

الفصل الثاني : عودة الماضي

الفصل الثالث : امرأة بين نارين

الفصل الرابع : صفقة الاحتقار

الفصل الخامس : أسرار تنكشف

الفصل السادس : ثأر و ثراء

الفصل السابع : استراحة محارب

الفصل الثامن : قصر الكونت

الفصل التاسع : هوية الحب

الفصل العاشر : حق السيد

الفصل الحادي عشر : رحيل الماضي

الفصل الأول : الرجل والعقرب

أخذت كارولين تدرع أرض الغرفة واضطرابها
يزداد مع كل خطوة. وصلت إلى النافذة التي
تؤدي إلى الشرفة الواسعة. لم تر شيئاً من
مناظر منتجع "برتو يانوس" الشهير التي يطل
عليها الجناح الأنيق الذي تقيم فيه، فعادت
من حيث أتت وهي تنظر إلى ساعتها بفروغ
صبر.

إنها التاسعة، كان من المفروض أن يعود
والدها في الساعة السابعة. لقد وعدنا بذلك
قائلا: "أنا ذاهب للقيام بنزهة سيرا على
الأقدام، ثم أعود لتبديل ملابسني للعشاء،
أريد أن ألقى نظرة على هذا المكان القديم
وأرى إن تغير كثيرا عما عهدناه".

إنه يعشق "ماريبيا". وكاننا فيما مضى يمضيان
معظم فصول الصيف فيها. ولذا فهمت لهفته
إلى استعادة ذكرياته في هذا المنتجع، ولكنها

لا تفهم لم رفض أن ترافقه في نزهته، ونهرها
بعد أن لاحظ قلقها عليه: " لا تكوني متعبة
كارولين. أنا لست بحاجة إلى أن تمسكي
بيدي كما أنني لست بحاجة إلى حارس
شخصي. ثقي بي قليلا بحق الله، ألم أعدك بأن
أحسن التصرف؟ "

وهكذا منحته بعض الثقة، وهاهي الآن
تسخر من نفسها، وتذرع أرض الغرفة قلقا
ولهفة، أتراه سيخيب أملها، وحاولت أن

تطمئن نفسها. بدا حازما وبجاجة إلى ثقتها به
كي لا يقع فريسة ضعفه السابق خصوصا بعد
أن أدرك مدى الأهمية التي يعلقها كلاهما،
على بقاءه قويا.

ولكن أين هو؟ لقد مضت ساعات على
ذهابه. وهي تعرف ما يمكن أن يقوم به عندما
يبقى وحيدا مدة طويلة.
- آه ، يالهذا الجحيم.

تمت بذلك بعدما ازداد قلقها، والتقطت
حقيبة يدها المخملية السوداء واتجهت
بغضب إلى باب الجناح الخارجي.

إذا اكتشفت أنه تسلل إلى حيث يزاول
عاداته الملعونة تلك، فلن تصفح عنه أبدا!
أقسمت بذلك وهي تضغط على زر المصعد
بعنف، ووقفت تنتظر وصوله بفارغ الصبر.
لقد ساءت الأمور بما يكفي حتى الآن.

وتأوهت ، فالأمور حقيقة أكثر من مجرد
سيئة، وإلا لما كانت هنا، وأبوها يدرك ذلك
جيذا، يعلم كم أصبحت تكره هذا المكان،
تكره كل تلك المشاعر المؤلمة التي يثيرها في
نفسها.

سبعة أعوام مرت على زيارتها الأخيرة له،
أخذت تسترجع ذكرياتها والمصعد يفتح
أبوابه، سبعة أعوام منذ أرغما على الرحيل

ذليلين محطمي القلب، مصرين على عدم

الرجوع ثانية.

ومع ذلك، هاهما عادا، الآن ليس إلى

"ماربيا" وحسب، بل إلى الفندق نفسه أيضا،

ومن جديد عليها أن تذهب للبحث عن

أبيها في آخر مكان في العالم تريد أن تطأه

قدمها. ذلك الكازينو التعس الذي تدرك

جيذا مقدار الأذى الذي يمكن أن يلحقه

بأبيها في مدة قصيرة.

وكم طال غيابه؟ تساءلت وهي تضغط على
زر المصعد. ليس أقل من ساعتين. في ساعتين
تعيستين يمكنه أن يخسر الآلاف. وفي ليلة
كاملة يخسر حتى قميصه وبسعادة بالغة.
تماما مثل المرة الأخيرة.

أحست كارولين بالغثيان واستندت بضعف
إلى جدار المصعد الذي بدأ الآن بابه يغلق.
وإذا بيد تتسلل بين مصراعيه من الخارج
ترغمه على أن يفتح مرة أخرى، ووجدت

نفسها تستقيم في وقفها بسرعة عندما دخل
رجل أسمر طويل أسباني الملامح، يرتدي بذله
للاحتفالات سوداء أنيقة، دخل برشاقة إلى
المصعد ووقف بجانبها.

- آسف لأنني أخرجتك.

قال ذلك بإنكليزية ناعمة وابتسم لها ابتسامة
سرعان ماتلاشت عندما توقفت عيناه عليها.
- لا بأس.

أجابته ثم أشاحت بصرها عنه حتى لاتشجعه
على الاسترسال في الحديث.

تحرك بهما المصعد، فاستندت إلى الرف وهي
تشعر بنظراته تتفحصها، فتظاهرت بعدم
ملاحظة ذلك. فالأمر ليس جديدا عليها.
فهي شقراء وتتمتع بقوام رشيق ومتناسق
وبساقين طويلتين، وهذا ما يدير أعناق
الرجال، لاحظت قبل أن تخفض بصرها أنه
هو أيضا حسن المظهر.

ولكنها لم تكن بمزاج يسمح لها بالتحدث إلى
أي كان، واكتأبت وهي تفكر في الوقت
الطويل الذي مضى منذ عاشت الحب.

في الواقع، كان ذلك منذ تعرفت بلويس، هنا
في " مارييا"، ولكنها ازاحت من ذهنها هذه
الذكرى قبل أن تتشيث بها، عاهدت نفسها
قبل أن تحضر إلى هنا أن لا تفكر في لويس
فهو ينتمي إلى ماضٍ بعيد، مع غيره من
الذكريات المرة التي تحملها من هذا المنتجع،

وهذا الرجل الطويل الأسمر الذي في المصعد،
يشبه لويس إلى درجة يصعب معها الوفاء
بذلك العهد.

شعرت بالراحة عندما توقف المصعد وتمكنت
من الهرب من نظراته القوية الفاحصة، قبل أن
يحاول التحدث إليها، وبعد لحظات نسيت
تماماً، وبرزت من جديد مشكلة العثور على
أبيها، ووقفت على أعلى السلم المؤدي إلى

الردهة الرئيسية، وتفحصت المكان المزدحم
أمامها.

هذا الفندق هو أحد أفخم الفنادق في
منتجع "برتو بانوس" في ماريبا، وقد اكتسب
منذ سنوات سمعة طيبة بسبب طرازه القديم
الرائع الذي جعله مرغوبا لنوع معين من
النزلاء، ومنهم هي وأبوها.

لكن أعيد افتتاحه منذ مدة قصيرة بعد تجديد
شامل له قام به أصحابه الجدد، فزاد سحرا

وتألقا واختلف النزلاء عن قبل، وأصبحوا
أقل تحفظا واعتدادا بمراكزهم الاجتماعية،
ولكنها لم تشك لحظة في أن بإمكانهما دفع
التكاليف الباهظة لإقامتهما.

وهذه الأيام لم تعد تسأل عن أسعار الأشياء
وحسب، بل أصبحت تحسب في عقلها وقت
العمل المطلوب منها لتجني المبلغ المنشود.

وفي الواقع أصبح المال أو نقصانه الآن
هاجس كارولين، خصوصا أن منزل أسرتها
تحول إلى غول نهم يلتهم كل المدخرات.

قطبت جبينها وهي تواصل البحث عن أبيها
صاحب القامة الطويلة النحيلة بين ذلك
الحشد من الناس الموجودين في الردهة، لكنه
لم يكن بينهم، فهبطت الدرجات برشاقة تخفي
توترها الداخلي، واتجهت إلى موظفة

الاستعلامات لتسأل عما إذا كان ترك خبرا

لها.

لكنها لم تجد خبرا، فسارت نحو مقصف
ال فندق يحدوها أمل واهٍ بان يكون صادق
شخصا يعرفه فاستغرقه الحديث، ونسي
الوقت.

لكن أملها خاب مرة أخرى، وارتجف قلبها
وهي تدرك أنه لم يبق أمامها سوى مكان
واحد عليها أن تبحث عنه فيه.

اتجهت متجهة الوجه، نحو السلم المؤدي إلى الطابق السفلي تحت الأرض. إن نزول هذه الدرجات يتطلب نوعاً من الشجاعة ليس في إمكان أحد فهمها إلا إذا عرفها منذ سبع سنوات. وعندما وصلت إلى الأسفل ازداد ارتجافها، ذلك أن التغيير هنا لا يكاد يذكر.

وردهة الطابق السفلي ما زالت على عهدتها من الأناقة وحدائث الطراز، وما زالت فيها

لوحة تشير إلى اليسار أي إلى اتجاه قاعة
الألعاب الرياضية، وغرفة التجميل وبركة
السباحة الداخلية.

البابان إلى اليمين مازالا موصدين كعهدهما
دوما، ويتم ذلك لإخفاء ما يدور وراءهما عن
الأعين الفضولية.

لكن اللافتة المعلقة فوق البابين واضحة، فإن
كلمة "كازينو" مكتوبة عليها بأحرف ذهبية
واضحة. وهذا مكان أبيها المفضل، المكان
الذي تسير فيه الإثارة المتشججة مع اليأس

جنباً إلى جنب، وحيث تقلب الورق أو رمي
الزهر أو إدارة العجلة القادرة على تدمير
الإنسان.

إذا أذعن لنفسه الأمانة بالسوء، وذهب
للبحث عن الإثارة، فهو إذا وراء هذين
الباين، تنبأت بذلك وهي تتقدم مكرهة إلى
الأمم.

—سيخيب أملك.

قال ذلك الصوت الأجنبي النبرة ببطء.

استدارت بدهشة، وإذا بها تحقق في ذلك
الغريب الذي كان معها في المصعد، الطويل
الأسمر الوسيم، ومرة أخرى شعرت بالغثيان
السابق لأنها رآته يشبه، بشكل غامض،
لويس، العمر نفسه البنية نفسها واللون
الأسباني الأسمر ذاته.

— أرجو المَعذرة؟

قالت ذلك وهي تفكر في أنها قابلت لويس
للمرة الأولى في هذه الردهة بالذات، وكانت

هي تتسكع مترددة بهذا الشكل بينما هو

يتسّم لها، مثل هذا الرجل، الآن..

قال وهو يشير برأسه الأسود الشعر نحو

الباب المغلق: "الكازينة لن يفتح قبل

العاشرة.. أبكرتِ جدا في المجيء.."

نظرت إلى ساعتها لتكتشف أنها التاسعة

والربع فقط. جعلها شعورها بالراحة تبسّم

للغريب بحرارة.. لأن معنى هذا أن أباه ليس

في الداخل، ليدمر ما بقي لديها من أمل في

إنقاذ منزلها!

شعرت الآن بالذنب لعدم ثقتها بأبيها،

ولغضبها منه ولسوء ظنها به، بينما هو

لا يبادلها المشاعر نفسها،

–ربما يمكنني إقناعك بتناول فنجان من

القهوة معا بانتظار أن يُفتح الكازينو أبوابه؟

احمر وجه كارولين لأنها أدركت أنه أساء
تفسير ابتسامتها المفاجئة. والحديث معه الذي
تجنبته في المصعد، عاد منتقما ذلك الانتقام
الذي جعله يمنحها ابتسامة آسرة،

ولكن كارولين أجابته ببرودة: "أشكرك، فأنا
هنا برفقة شخص"

ثم اتجهت عائدة إلى السلم.

–هل هو أبوك السير إدوارد نيوبري؟

جعلها سؤاله تتوقف عن السير: " هل تعرف

أبي؟"

–لقد تعارفنا.

وابتسم ، لكن ابتسامته هذه جمدت دم
كارولين ، بدا وكأنه يعرف شيئاً لا تعرفه هي
ويسخر من تلك المعرفة.

أو يسخر من أبيها، وقال: " لقد رأيتَه لتوي،
كان يجتاز الردهة إلى المصاعد منذ دقائق
فقط، وبدا مسرعاً".

وظهرت مرة أخرى ابتسامته الكسول
الساخرة، فانزعجت وقالت بأدب: " شكراً
لك على اطلاعك لي على هذا الخبر".

ثم أشاحت عنه مرة أخرى وذهلت عندما
وضع أصابعه حول معصمها، متمتماً:

"لا تسرعني بالذهاب، إنني حقا أريد التعرف
إليك بشكل أفضل".

كان صوته بالغ الرقة، لكن قبضته كانت
تندرها بإنها إذا حاولت التخلص منها
فستشدد أصابعه بشكب مؤلم.
لم يعجبها هذا الرجل، لم تعجبها وسامته
الرقيقة ولا ثقته بنفسه ولا ظرفه الظاهر في
الوقت الذي يستعمل قوته لاحتجازها،

لم يعجبها أن يلمسها وارتابت في أنه كان
يمشي في إثرها منذ تركت المصعد.. كما لم
تحب هذا الإحساس بالضعف الذي يملكها
نحو من هو أقوى منها ومن هو واثق من
نفسه إلى حد الجرأة على إعاقتها بهذا
الشكل.

—دعني من فضلك.

اشتدت قبضته، فتسارعت خفقات قلبها
وهو يقول: "ولكن إذا أنا تركتك تذهبين فلن

تعلمي كيف تعرفت إلى أبيك، وربما الأهم
من ذلك، أين تعرفت إليه،".

– أين؟

سألته وهي تعلم أنه يعتمد ابتزازها بهذه
المعلومة.

– تناولي معي فنجانا من القهوة، وسأخبرك.

لكن غريزتها حدثتها بأن تهرب منه.

تملكها الغضب، لأنه إذا ظن أنها قد تخضع
لمثل هذا النوع من الإرغام على مرافقته، فهو
مخطئ، فأجابت بلهجة بالغة البرودة: "لو
كان أبي يظن أن تعارفكما شيء هام،
لأخبرني بذلك بنفسه، والآن إذا سمحت!"

وشدت يدها من قبضته بعنف، ثم صعدت
السلم بحزم دون النظر إلى الخلف، لكنها

شعرت برجفة في داخلها، لأنها خشيت أن
يلحق بها. وكان إحساس غير سار ذلك الذي
لازمها أثناء صعودها السلم وعبورها الردهة
المزدحمة قاصدة المصاعدة. ولم تشعر بالأمان
إلا بعد أن تغلق عليها باب المصعد وحدها.

وكان معصمها يؤلمها، فنظرت إليه ولم تدهش
حين رأت جلدها الرقيق يتورم. من ين تراه
يكون؟ ومن هو بالنسبة إلى أبيها، مالذي

جعلہ یعتقد بأن من الجائز له التطفل عليها
بہذ الشكل؟

شعرت بقلق جعلها تتوجه رأسا إلى غرفة
أبيها لتكتشف الأمر، ولكن بعدما قرعت
الباب بعنف ثم فتحتہ، شعرت بخيبة أمل إذ
بدا لها أنه كان هنا ثم خرج مرة أخرى.

وعلمت من طريقة إلقاءه ملابسه على الأرض
بشكل عشوائي أنه بدل ملابسه بسرعة
قياسية.

هل فعل ذلك لكي يتجنبها؟ آه نعم...! كان
يريد تجنبها,, وهذا لا يعني سوى شيء واحد.
لقد أفلت زمامه.

وفي نوبة غضب وقنوط، انحنت لتلقط
بنطلونا كان ملقى على الأرض وعندما
التقطته لتضعه على السرير، سقط شيء من

أحد جيوبه وارتطم بجذائها، انحت لتلتقطه
وإذا بها تكتشف أنه مجموعة من الإيصالات
أخذت تتصفحها بأصابع مرتجفة.

لم تتحرك بعد ذلك، ولم تتنفس، وبقيت
لحظات طويلة عاجزة عن التفكير بشكل
مترابط. ثم بدأت تفتش كل قطعة من ملابسه
بهدوء يعبر عما يعتمل في أعماقها.

وبعد عشر دقائق، كانت تقف في منتصف
غرفة أبيها، محدقة في الفضاء كتمثال من
حجر، إنها هنا في "ماريبا" من أقل من أربع
وعشرين ساعة، وأثناء ذلك، كما تقول
الإيصالات، خسر أبوها ما يقارب الألف
جنيه.

** ** * * * * *

وقف لويس فازكيز بجانب نافذة غرفة المراقبة
ذات التقنية العالية، ناظرا إلى أسفل، حيث

أرض كازينو هذا الفندق الذي هو آخر

مقتنياته في سلسلة فنادقه الفخمة.

لم يكن بمقدور أحد أن يراه من أسفل، كانت

النافذة تسمح له بالنظر إلى الخارج، ولكنها

لا تسمح لأحد بالنظر إلى الداخل.

وخلفه، كانت المراقبة الحقيقية قائمة بواسطة

شاشات تلفزيونية يراقبها موظفو الأمن عنده

بأعين كأعين الصقور. وكانت النافذة مجرد

وسيلة ثانوية يمكن بواسطتها مراقبة أرض
الكازينو بشكل عام.

يفضل لويس تفحص الأرض بعينه هكذا،
وهي عادة تملكته عندما كان لا يثق بما لا يراه
بنفسه.

والآن اختلفت الأمور. فهو لم يعد بحاجة إلى
المخاطرة لكي يعيش إذ أصبح يملك الثروة
والقوة وإحساس عميق باحترام الذات.

وقطب حاجبيه، فاحترام المرء لذاته لا يكسبه
احترام الآخرين بشكل آلي، إنه درس قاس
تعلمه يوما، وينوي أن يعود إليه لمعالجته
وتعديله بشكل أفضل.

كان هذا في الواقع مشروعه الأهم.

تقدم "فيتو مارتينيز" المسؤول عن أمن
الفندق، ووقف بجانبه وقال "

"لقد عادت إلى غرفتها وهو وصل لتوه إلى مقصف الكازينو".

-هل هو متوتر؟

فأجاب فيتو: "إنه يدندن متوتراً لقد نضج وحن قطافه".

قال ذلك مثبتاً بهذا التعبير، نشأته في شوارع نيويورك.

أوماً لويس فازكير ثم ابتعد عن النافذة
وأساريره جامدة كالعادة، وهذا ليس غريباً
على شخص مثله.

-أخبرني عندما يأتي إلى الموائد.

قال ذلك ثم خرج من غرفة المراقبة بخطواته
الواسعة الرشيقة، واجتاز جناحه الداخلي
الخاص ذا الأرض المبلطة بالرخام الأسود
والتبني اللون، واتجه إلى باب آخر دخل منه
وأغلقه خلفه.

وفجأة ساد الصمت.

بينما كانت الغرفة الأخرى تعج بالحركة،
انعكس الواقع في هذه الغرفة التي كان يُسمع
فيها رنين سقوط الإبرة على السجادة التبنية
السميكة، كانت غرفة مترفة، أثاثها عصري
منجد بالجلد الأسود.

الغرفة شبيهة بصاحبها، وهي مثله لا تفصح
عن شخصيتها الحقيقية، ما عدا تلك

الصورة، في الإطار الأسود، المعلقة على

الحائط خلف مكتب عريض أسود.

كانت الصورة بسيطة ككل شيء هنا.

لا شيء فيها سوى تخطيط باهت لعقرب سام

ملتصق على الخلفية البيضاء وذيله البشع

المظهر ملتوي إلى أعلى، استعداداً للسع.

إن مجرد النظر إلى هذه الصورة يجمد الدم في

العروق، مع أن كرسي لويس فازكينز تحت

تلك الصورة المميّنة، ولكنه ليس هو المهدد،

وإنما أي شخص قد يدفع سوء حظه إلى
الجلوس على الكرسي القائم في الجانب
الآخر للمكتب.

في الصورة رسالة واضحة تقول: "اغدر بي،
ألسعك".

إنها شخصيته وفلسفته في الحياة وشعاره. من
زمان رافقته صورة العقرب الذهبي وكانت
تزين كل ما يشترك فيه لويس فزكينز، وذلك
من أصبح أكثر حدقا ودهاء. أما الآن فهو

يحتفظ بهذه الصورة لأسباب شخصية فقط،
من أجل تحذير أي شخص قدر له سوء حظه
أن يُستدعى إلى هذه الغرفة الخاصة، تحذيره
بأن لويس فازكيز الهادئ الرابط الجأش
المعسول الكلام مازال في ذيله لسعة سامة.

لكنه، هذه الأيام أصبح أكثر حكمة بالنسبة
إلى فلسفته الجديدة التي جعلته يمنح سلسلة
فنادقه الفخمة المجددة، اسمها. ومنحته شهرة

واسعة نظراً للخدمة الجيدة والراحة، التي
أمنها لزبائنه في السنوات العشر الأخيرة.

لأن هذا كان "فندق الملاك" .. ملاك الخير
والصدق والحق.

لكن ذلك كان امتزاج السمو بالتفاهة ومثلاً
لما يمكن أن يفعله التسويق الجيد، لأنه في
جميع فنادقه كازينوهات هي مغريات حقيقية،
والإسراف الذي يستمتع به نزلاؤه الأثرياء
أثناء اللعب، هو مجرد كسب إضافي له.

وربما كان "العقرب" أكثر صدقا في تمثيل
شخصية لويس الحقيقية.

سار لويس ثم جلس تحت ذلك
العقرب، الآن، وانحنى يفتح أحد أدراج
المكتب بأصابع الطويلة الضامرة الرائعة
الشكل التي تكشف المزيد عن شخصية
صاحبها غير العادية بقوتها ورباطة جأشها،
أصابعه هذه أخرجت من الدرج الشيء

الوحيد الموجود فيه ووضعتة على سطح
المكتب.

كان ملفاً جلدياً ثميناً ولكن ليس في مظهره
أي سوء، ومع ذلك لم يفتحه مباشرة، وإنما
اتكأ إلى الخلف في كرسيه وأخذ ينقر بأصابعه
على المكتب، شارد الذهن، كانت ملامحه
جامدة، كالعادة، فكل ما كان يجول في عقله
الذكي اختفى تحت أهدابه السوداء التي
تجرب عينيه عادة. تلك العينان الرائعتان

البنيتا اللون اللتان لا يُسبر غورهما،
والمستقرتان في ذلك الوجه الأسر بوسامته،
إنه أسباني الدم أميركي النشأة، ذو بشرة
سمراء ذهبية دافئة تشير إلى أصله الأسباني،
وذو وجنتين عاليتين، وأنف أقى وذقن
عريض وفم رائع الجمال.

ولكن كل هذه الملامح الحسنة تشكل وجهها
لرجل هادئ بارد.. لرجل معروف أنه لا يملك
قلبا.. أو- إذا شئنا الواقع- يملك قلب رياضي

يمكنه أن يحتفظ بنبضات هادئة هي ضرورية
لمداومة الأوكسجين في عقله الذكي مهما
يكن مقدار الضغط الذي يزرح تحته.

توقفت أصابعه عن النقر على المكتب،
وامتدت إلى الملف الجلدي تفتحه لتكشف
عن رزمة مستندات في داخله. ثم أخذ يبحث
بين الأوراق حتى وجد ما يبحث عنه. أخرجه
ثم نشره أمامه، وإذا به يجمد في مكانه وقد

التمعت عيناه فجأة وهو ينظر إلى صورة
ملونة ل... كارولين.

إن جمالها غير عادي، لاشك ولا أحد قادر
على إنكار ذلك: شعر بلون القمح الناضج
يحيط بوجهه هو من الرقة والكمال، بحيث لم ير
لويس فازكيز مثله على الرغم من سنوات
عمره الخمس والثلاثين، بشرتها الوردية
الإنكليزية لا عيب فيها، وعينيها بلون
البنفسج.. وأنفها صغير مستقيم كلاسيكي

الشكل وكذلك ذقنها الرقيق التكوين. لكن
الفم هو الذي أثار انتباه لويس. فقد كان
ناعما مكتنزاً وردي اللون.. إنه وجه خُلق
ليسلب عقول الرجال.

وكان لويس طبعاً يعرف ذلك، ويعرف مدى
تأثيره فيه هو نفسه.. وقد صمم الآن أن
يقترّب منها من جديد فهو يريدّها
قربه.. يريدّها قربه..

ثقتّه بذلك جعلت ذلك اللهب في عينيه
يعود إلى برودته العادية فقد لجأ إلى مزية

أخرى من مزاياه القوية، وهي الصبر.. كان
هذا الرجل يتمتع بصبر غير محدود لكي بلغ
هدفاً وضعه أمامه.

وهدفه التالي كان كارولين. وهو الآن متيقن
أنها أصبحت بالنسبة إليه، ملك يمينه، وهذا
الإيمان بنفسه هو الذي جعله يضع صورتها
جانبا وينسى وجودها ليبدأ بقراءة بقية
الأوراق في الملف.

كان أكثرها قوائم حسابات، إندارات
باستحقاق الدين، والاستيلاء على المرهونات
من الأملاك. وأكثر الأشياء شؤماً، هي
القائمة الطويلة بديون القمار غير المدفوعة،
القديمة منها والجديدة، أخذ يقرأ كلا منها
بدورها، حافظاً كل التفاصيل عن ظهر قلب
قبل أن يضعها جانبا ويتناول التالية. لمع
ضوء على المكتب، فجأة، فمد إصبع يضغط
على زر هناك، قائلاً: "نعم؟"

فقال فينو مارتينيز: "إنها تنزل إلى الأسفل،

وهو يلعب بمبالغ كبيرة"

—حسناً.

قال لويس ذلك ثم ضغط الزر مرة أخرى

وساد السكون.

عاد انتباهه إلى الأوراق أمامه، فرفعها كلها،

بما فيها الصورة الفوتوغرافية، ثم أعادها إلى

الملف وأعادته إلى مكانه في الدرج. ثم وقف

وغادر غرفة المكتب.

وعندما عاد إلى غرفة المراقبة، كان فيتو
مارتينيز واقفا عند النافذة فوقف لويس
بجانبه، ثم تابع إيماءة فيتو نحو إحدى موائد
الروليت.

طويلا لطيفا بالغ الوسامة بالنسبة إلى سنه،
وبالغ الأناقة كعادته، كان السير إدوارد
نيوبري يقامر،, وقد بدت ملامحه متوترة
جدا،

تمكن لويس من تمييز مظهره بالضبط,, كان
رجلا على وشك الانفجار بعدما وقع في
الفخ. بدا الآن وكأنه على استعداد لبيع
روحه للشيطان نفسه.

لقد نضج، حسب تعبير فيتو.

حول لويس اهتمامه بقسوة، وعدم دهشة،
بعيدا عن السير إدوارد نبويري ناظراً، في
الوقت المناسب كعادته دوماً، إلى المدخل، في

اللحظة التي برزت فيها كارولين. لتجمد في

هذه اللحظة كل شيء في داخله.

سبع سنوات منذ وقعت عيناه عليها للمرة

الأخيرة.. ومع ذلك لم تتغير. الشعر، العينان،

البشرة الرائعة، الثغر البديع الجمال بشفته

العليا الرقيقة والسفلى الممتلئة. ولم يفقد

قوامها الطويل الرشيق، الذي يبرز جماله ثوبها

الأسود البالغ الأناقة، فتوته وصلابته. بهذا

كانت تحدثه مشاعره التي التهبت، فجأة،

بشكل لا يمكن أن يلهبها سوى هذه المرأة

التي تمثل نقطة ضعفه, إن رغبة هذا الولد غير
الشرعي في امتلاك هذه الفتاة الارستقراطية
النشأة أقوى مما يقدر على احتمالها.. إن كل
شيء فيها حتى اسمها، كارولين أورورا
سيلاندين نيوبري,, كان غير عادي، لها
شجرة عائلية تُقر ككتاب تاريخي، وثقافة
لا يحظى بمثلها إلا الصفوة من الناس، ومنزلا
من الفخامة والروعة، بحيث يجسدها عليه أي
ملك.

كانت هذه أوراق الاعتماد التي منحت آل
نيوبري الحق في اعتبار أنفسهم من طبقة
النبلاء، ولكي يكون المرء صالحاً حتى يقبلوه
بينهم، عليه أن يكون شخصاً غير عادي،
على الأقل، حتى في هذه المرحلة، وهم
راكون مذله ولا يمكنهم التدقيق في الاختيار،
فنشأة المرء هي المقياس الذي يقيسون به ما
إذا كان الشخص يستحق منهم الانتباه.

بدت كارولين بالغة الشحوب، فراح يراقب
قلقها وهي تتفحص أنحاء الكازينو باحثة على
أبيها المشاكس، كما بدت متوترة وغير
مرتاحة لما يحيط بها، فهي لا تحب مثل هذه
الأماكن.

لمحت أبيها عندما أخذت عجلة الروليت
تدور، ورأى لويس جسمها يتصلب ووجهها
الجميل يتوتر وأسنانها البيضاء تعض شفتها
السفلى والقذ المياس يمشي إلى الأمام.

انطبقت أسنانه بشدة خلف شفثيه وهو يراها
تقف خلف أبيها على بعد خطوتين، ثم تعقد
أصابعها على بطنها وكأنها لاتعرف ماستفعل،

في الواقع، وددت كارولين لو تمسك بأبيها من
رقبته من الخلف ثم تجره خارج هذا المكان،
لكن نشأتها الراقية هي التي منعتها من ذلك،
وكان لويس يعلم هذا، فعلى المرء فوقوانين
المجتمع الراقى ألا يثور غضبا بشكل قبيح
أمام الناس، مهما كان الوضع سيئا، حتى ولو

كانت تعلم أن أموالها مستدانة وأن مايفعله
أبوها جريمة, "اللون الأسود" وخسر السير
إدوارد، كحاله منذ وصوله إلى ماربيا ليلة
أمس.

وعندما أبدى الأب إشارة إحباط، بدا على
الابنة الذبول.
—بابا...—

حتى لويس شعر بجزرها وخبجها وهي تضع
يدها على كم أبيها محاولة أن تجعله يصغي إلى

صوت العقل.

لا فائدة، كما رأى لويس، فقد جن الرجل
تقريباً بحمى المقامرة، وحين تمتلك الحمى
المقامر، لا يكون الشفاء سريعاً، فليس بإمكان
السير إدوارد أن يتوقف الآن حتى لو خسر
قميصه، أو ما هو أكثر من ذلك.

وهذا (الأكثر) هو ما كان يريد لويس.

بعدها أجفل السير إدوارد مدهوشا، وألقى
نظرة شعور بالذنب من فوق كتفه، عادت
إليه شراسته.. تلفظ بشيء ما ونفض يد ابنته
عن ذراعه لكي يتمكن من وضع كدسة
أخرى من الفيشات، على المائدة. كل ما
استطاعت كارولين عمله هو الوقوف والنظر
إلى خمسة آلاف جنيه تتأرجح حتى تستقر
الكرة على أحد اللونين الأحمر والأسود.
"الأسود" وخسر السير إدوارد مرة أخرى.

ومرة أخرى حاولت كارولين أن تمنعه، ومرة
أخرى دفعها جانبا بفضاظة. هذه المرة فقط
وجد لويس يديه تنقبضان إلى جانبيه لأنه لمح
بريق الدموع في عينيها الجميلتين اللتين كانت
تديرهما في أنحاء الكازينو الزدحم باحثة عن
عون حيث لا يمكن وجوده.

ثم ودون إنذار، رفعت بصرها فجأة إلى غرفة
المراقبة فاستقر عليه بدقة خطفت أنفاسه.

بقي لويس جامدا، كان يعلم أنها لا تستطيع
رؤيته فهد الزجاج لايسمح بذلك أبدا، ومع
هذا،،

تملكته رجفة خفيفة في لحظة فقد فيها الشعور
بكيانه وأخذ يحدق مباشرة في تينك العينين
الرائعتين المتألفتين بالدموع، شعر بالاختناق
وانقبض قلبه. وعندما ارتجف ثغرها الصغير
بيأس بالغ ارسل في جسده رعشة كهربائية.

تمتم فيتو بجانبه بهدوء: " لقد ربح "

رأى لويس من زاوية عينه تجاوب السير
إدوارد نيوبري، وهو يرفع قبضته في الهواء
منتصرا. لكن انتباهه بقي مركزا على كارولين،
التي بقيت واقفة تنظر بفتور وكأن الريح
والخسارة سيان بالنسبة إليها.

استدار فجأة قائلا لفيتو: " سأنزل إلى
الأسفل، تأكد أن كل شيء جاهز عندما
نترك هذا المكان".

وعندما ابتعد، لم ينبئ صوته ولا حركاته عن
شيء من المشاعر المتفجرة التي استحوذت
عليه.

—نعم!

استدار السير إدوارد مسرورا وأخذ ابنته بين
ذراعيه،

—ربحنا مرتين، يا حبيبتى! مرتان أخريان ونطير
في السماء.

لكنه كان يطير فعلاً، فقد كان تألق عينيه
مخيفاً، فتوسلت إليه كارولين: "أرجوك يا أبي،
توقف الان عن اللعب مادمت ربحت،
هذا،،،" جنون، كانت على وشك أن تقول
هذا.

لكنه قاطعها: "يالك من مفسدة للبهجة! إنها
ليلة حظنا، ألا ترين ذلك؟"

وتركها وعاد إلى طاولة الروليت حيث أخذ
الموظف يجمع له أرباحه ليدفعها إليه، فقال

له: "ضعها في العجلة"

ولم يكن أمام كارولين إلا أن تظر بعجز إلى
كل بنس ربحه وهو يوضع في دورة واحدة من
عجلة الروليت.

احتشدت مجموعة حول المائدة، وتلاشت
تمماتهم المتحمسة عندما أخذت العجلة
بالدوران، توقفت كارولين عن التنفس

والتصق لسانها بحلقها الجاف كالورق وراحت
ترقب الكرة العاجية تؤدي رقصة الحظ.

كان الغضب والثورة يجيشان في قلبها، لكنها
اعتادت عد إظهار ثورات الغضب أمام
الناس. ولأن أباهما يعرف هذا السلاح، فقد
كان سعيدا باستعماله ضدها. في مثل هذه
اللحظات كان يعتمد على حسن تصرفها
ويترك لنفسه حرية التصرف الشنيع.

ما كان أكثر وعودة المخلصة.. فكرت في ذلك
هازئة وهي تراقب، بعينين جامدتين، العجلة
التي بدأت تتباطأ، وما أكثر الأسابيع
والشهور والسنوات التي علمتها الثقة بأي
شيء يقوله ما هي إلا طريقة لمواجهة
المصائب.

لقد تبعت من ذلك، أنهكها الحرب والشجار
على حساب كل شيء آخر في حياتها،

وتملكها شعور مفرع بأنها لن تتمكن هذه المرة
من الصفح عنه لما فعله بها مرة أخرى.

لكنها، حالياً، لن تستطيع إلا أن تتفرج. إنها
فريسة لأسوأ كابوس وأين؟ في هذا المكان من
العالم حيث الكوابيس مطلقة الأعنة، هذا
المكان هذا الفندق .. هذا الكازينو التعس
القدر. لم يعد ينقصها الآن إن يظهر لويس
فازكيز أمامها فيتم الكابوس.

وإذا بشخص يقف خلفها مباشرة. شعرت
بأنفاسه الحارة تداعب رقبتها. شعرت بذلك
مع أن اهتمامها مركز على تلك الكرة
الصغيرة المعذبة في تقافزها الماجن من لون إلى
لون.

إضافة إلى غضبها وثورتها كان هناك التوتر
والترقب الذي كان الإثارة الحقيقية، والجنون
الفعلي. إن ذلك الغضب وتلك الثورة وهذا

التوتر والترقب كان يتغلغل فيها كعقار سام
لايستطع أحد مقاومته.

-نعم!

اخترق صفير أبيها المنتصر طبلة أذنها كقرع
مئات الطبول، وهتف الحشد حوله يشاركونه
بهجة وحظه الحسن، لكن كارولين بدت زاوية
كزهرة تموت. كان قلبها يتخبط بحيرة في
أعماقها، شعرت بالغثيان، بالدوار. ولا بد أنها
ترنحت قليلا لأن ذراعاً تسللت لتحيط
بخصرها تسندها. والدليل على مقدار

الضعف الذي تشعر به هو أنها تركت تلك
الذراع تستندها إلى الجسد الصلب المتين
الواقف خلفها.

كانت تفكر بذهن متبلد أنها لن تستطيع
منعه الآن. وهو لن يرضى إلا بعد أن يخسر
كل ماربحة لتوه. وأكثر، فهي لاتعتبره ربحاً
الآن، لأن الربح ليس الرغبة الحقيقية التي
تدفع شخصاً مثله إلى المقامرة، كان الأمر

ببساطة رغبة ترغمه على اللعب مهما كانت
النتيجة.

سرت في كيانها رجفة جعلتها تشعر فجأة
تستند إلى رجل غريب. توترت وهي تبتعد
قليلاً واستدارت ومازالت ذراعه تحيط بها،
لتمتم بأدب بارد: "شكراً ، لكنني..."

تجمدت الكلمات وتوقفت عن التنفس
ووقفت تحديق في عيني شيطان سوداوين

مألوفتين لديها، عينين أوقعتها داخل عالم
مرفوض.

قال يحييها بنعومة: "مرحباً، يا كارولين".

** **

الفصل الثاني – عودة الماضي

قفز قلبها من مكانه، ثم أخذ يخفق بعنف.

—لويس...

هتفت بذلك من بين شفتين بالكاد استطاعتنا
الحركة، لا... هتف بذلك عقلها..إنها
هلوسات.. إذ تحلم به صاعدا من أعماق
مخاوفها.. لأن هذا المكان وجنون أبيها هما
مترادفان في عقلها مع هذا الرجل..(لا...)
قالت ذلك مستنكرة بصوت مرتفع.

- آسف، ولكن.. نعم.

أجابها بذلك هازلاً بجفاء. لكن هذا الهزل لم
يصل إلى ظلمة عينيه، إذ بدأت الغرفة تظلم
حولها وتحولت الصدمة في نفسها إلى دعر
مؤلم.

– اتركني من فضلك.

قالت ذلك وهي ترتجف، متلهفة إلى الابتعاد
عنه بعض الشيء لتتمكن من مواجهة الأمر.
– طبعاً.

أبعد يديه عنها على الفور، ولسبب غريب،
وجدت نفسها تقارن بين موافقته الفورية
هذه، وعدم الاكتراث البالغ الذي أظهره
ذلك الغريب في الطابق السفلي عندما طلبت
منه الشيء نفسه.

ذلك كان رجلا ذكرها بلويس.. رجلا لم
يعجبها منذ النظرة الأولى، بينما لويس..

وقال ونظره مركز على ما كان يجري

خلفها: "أرى الحظ بجانب أبيك"

– "أحقا؟"

سألته ذلك بارتياب جعل نظراته تعود إلى
وجهها.

لكن كارولين لم تعد تستطيع النظر إليه، إن
ذلك يؤلمها، لأن لويس يمثل كل ما تحتقره في
رجل، التسلط، الكيد، الخداع، الخيانة.

تملكتها فجأة مرارة غمرت كيانها، أرادت أن
تبتعد عنه، ولكن، في اللحظة نفسها، بدا

الحشد يفعها، متلهفين لتهنئة أبيها، إظهارا
لسرورهم برؤية واحد منهم يهزم الكازينو،
عادت ذراع لويس تحيط بها تحميها هذه المرة
من دفع الناس لها. وجدت كارولين نفسها
مضغوطة إلى جسمه بشكل جعلها تتمنى
الموت على ذلك.

تصاعدت دقات قلبها وتسارعت أنفاسها،
كان ذلك فظيعا. فقد تدفقت الذكريات إلى
ذهنها. لقد تحابا ذات يوم، تحابا كثيرا. وها
هما الآن هنا، فقد حشرهما الحشد الذي

حولهما معا. جاعلا من ذلك أسوأ عقاب
يمنيها به القدر بسبب غبائها في الموافقة على
العودة إلى هنا.

قالت بلهجة لاذعة ساخرة: "أما زلت تقامر
لتعيش، يالويس؟ لا أدري ما الذي ستفعله
هيئة الإدارة إذا علموا أن لديهم، في ناديهم،
مقامرا محترفا"

ضاقت عيناه السوداوان، ولأنها كانت مرغمة
على الالتصاق به، فقد شعرت بجسده

بتوتر.. ثم سألتها بحذر: "هل هذا تهديد مبطن

منك؟"

أهو كذلك حقا؟

سألت كارولين نفسها، مدركة أن كل مايلزم
لذلك هو كلمة هادئة لهيئة الإدارة، فيخرجوا
لويس بهدوء حازم من هذا المكان، ولكن..

– كان هذا مجرد سؤال.

وتنهدت عاملة بأن ليس لها الحق في انتقاد

لويس فأبوها يماثله سوءا.

أجاب: "إذن، الرد على سؤالك هو.. لا فأنا

لست هنا للعب"

لكنها لم تكن تصغي إليه. فقد خطرت لها

فكرة مفاجئة، فكرة جعلت قلبها يقفز في

صدرها. فتمتت بسرعة: "لويس.. إذا

تحدثت بهدوء إلى مجلس الإدارة بشأن أبي،

فهل سيمنعونه من الاستمرار في المقامرة؟"

فقال هازئاً: "ولم يمنعونه؟ هو ليس محترفاً، بل

مجرد رجل تحولت رذيلته إلى هاجس"

أكملت تقول وهي ترتجف: "هاجس

انتحاري"

أخذت يده التي على ظهرها تمر عليه برفق.

والأسوأ أنه لم يقل شيئاً، كان يعرف أباه..

يعرفه جيداً جداً.

شد ما أكره هذا!

همست بذلك، متمنية لو كان بإمكانها أن
تبتعد متظاهرة بعدم حدوث شيء. لكنها لم
تستطع، وبشكل ما، بطريقة ما، عليها أن
تحاول وضع حد لهذا الجنون من أبيها قبل أن
يدمرهما تماما.

قال لويس: "أتريدين أن أوقفه عن اللعب؟"

رفعت بصرها إليه بلهفة: "وهل يمكنك

ذلك؟"

أجابها بأن رفع بصره إلى حيث كان أبوها
يخرج من بين حشد المهنيين.

ثم قال له: "سير إدوارد"

كان هذا كل شيء، لم يرفع صوته، ولم
تتضمن لهجته أي تحد، وإنما مجرد كلمتين

هادئتين ولكن كان لهما تأثير كبير إذ توقف
بسببهما طنين الإثارة الذي يسود المكان.

كما وقف شعر رأس كارولين وهي ترى أباها
يستدير. وفي لحظات الصمت المتوتر

الطويلة، شعرت بالصدمة التي تملك أباها.
لكن استفاقتة منها كانت سريعة. فقال ببطء:

"حسنا، إذا لم يكن هذا لويس.. فهي

مفاجأة.."

ثقافته في كلية "إينون"، نشأته بطريقة تجعله
شاعرا بأهميته على الدوام، وهكذا كانت
لهجة السير نيوبري الملوكية مزيجا من التهكم
والتنازل جعل ابنته تجفل. لكن لويس لم يجفل
وإنما ابتسم ساخرا بجفاء، وهو يقول موافقا:
"إنها مفاجأة حقا، أن نلتقي بعد سبعة
أعوام، وفي الوقت نفسه والمكان نفسه".
أضاف أبوها بجفاء: "لا بد أنه القدر"

والقدر على وشك تغطية ذلك.. بهذا أخذت

كارولين تفكر.

تابع لويس قائلاً: "أرى أنك محظوظ هذه

الليلة، فقد أفرغت صندوق مدير اللعبة،

أليس كذلك؟"

—ليس تماماً، لكنني سأتمكن من ذلك.

بدا صوتها أبيها، فجأة، منتعشا نشيطا.

فاستدارة كارولين بين ذراعي لويس لترى

بنفسها تألق عيني أبيها، لكنها رأت رأت
أيضا الاعتداد الصبياني بالنفس وهو وهو
ينظر إلى وجهها. كان يعلم جيدا مقدار
خدلانه لها هذه الليلة، لكن التمرد كان يبدو
عليه.

وهذا ما جعل قلبها يتحطم ياسا.

سأله لويس: "كم استطعت أن تريح حتى
الآن؟"

لكن السير إدوارد لم يهتم حتى بإلقاء نظرة
على أرباحه، فقال: " تعلم أن عد الأرباح
يجذب النحاس، يالويس "

—إذا كنت تشعر بأنك محظوظ حقا، مارأيك
في اللعب معي؟ فتضع جميع ربحك في دورة
العجلة التالية، فإذا أنت ربحت، سأضاعف
المبلغ ثم ألاعبك بالمبلغ كله في البوكر، هل
يعجبك ذلك؟

أضاف ذلك يستحثه، متجاهلا شهقة

احتجاج كارولين.

بدا الفضول على المستمعين، وجمدت

كارولين مكانها. هل يسمي لويس هذا

(إيقاف عن اللعب؟). لم تشعر قط بمثل هذه

الخيانة. بما في ذلك آخر مرة خان فيها لويس

ثقتها به.

– لا

همست بذلك وعيناها تتوسلان إلى أبيها بألا
يطيع لويس. لكنه لم يعد يشعر حتى
بوجودها، وكانت تعلم بالضبط ما كان يقوم
به. فقد كان مشغولا بعد أرباحه في ذهنه ثم
مضاعفتها مرة بعد أخرى، ليلعب مع لويس
بلعبة تدرك هي مقدار مهارة لويس فيها.

– ولم لا؟

لقد قبل التحدي. وعندما حدثت ابنته فيه

بذعر، استدار إلى مدير اللعبة قائلاً

برودة: "فلنبداً"

وعادت العجلة إلى الدوران.

وكانت كارولين تشعر بلويس خلفها وهو

يراقب الأمور من فوق رأسها. بينما وقف

أبوها أمامها، هادئاً ظاهرياً. وقد بدا عليه

عدم الاكتراث البالغ بالنتيجة النهائية، ومع

أن حياتهما متعلقة بذلك.. بدا كأن كل

الموجودين في الكازينو قد وقفوا حول المائدة
جامدين حابسي الأنفاس يراقبون نتيجة
اللعبة. لم يكن بينهم شخص يعتقد بن
بإمكان السير إدوارد أن يربح إذا راهن على
اللون الأحمر نفسه للمرة الرابعة. خصوصا
كارولين التي قالت للويس وهي تخلص نفسها
منه: " لن أصفح عنك قط لهذا الأمر".

تركها تذهب، لكنه بقي واقفا خلفها مباشرة.
ثم وقفا كالأخرين يراقبان العجلة وهي تتباطأ،

ناظرين إلى تلك الكرة التعسة وهي تتقاذف
من لون إلى آخر.

وكان هذا أسوأ هذاب عاشته. أدركت أنه ما
كان لهما أن يحضرا إلى هنا. لقد دأبت على
القول لأبيها مرة بعد أخرى بأن "ماريبا" عي
آخر مكان على الأرض عليهما أن يبحثا فيه
عن الخلاص، لمنه لم يصغ إليها. كان بئسا،
والرجل البئس يقوم بأعمال طائشة، وكل
ماقاله لها: "ليس أمامنا خيار! فالشركة

الممولة التي اشترت كل ديوننا مركزها في
ماربيا، وقد رفضوا الحديث معنا إلا إذا ذهبنا
بنفسنا. لذا علينا الذهاب إلى هناك،
كارولين"

– "وديونك في القمار؟ أتراهم وضعوا أيديهم
الجشعة على كل تلك أيضا؟

احمر وجهه حينذاك لشعوره بالذنب، وقال
بشراسة كعادته كلما واجهه أحدهم بعدم

كفاءته: "هل تريدون المساعدة في وضع حد
لهذا المأزق الذي نحن فيه أم لا؟"

وكانت تريد ذلك ولكن ليس بهذه الطريقة،
ليس بالمقامرة بكل ما يملكونه بوضعه على
عجلة الروليت الغبية.

عاد رأسها يدور، وتسرب الدم من رأسها
بطء وكان تلك العجلة المتباطئة تعتصره، ثم
إذا بذلك يتوقف فجأة. وساد القاعة صمت

شامل حتى قال السير إدوارد بهدوء بالغ: "إنها لي، كما أظن".

ودون أن تنطق كارولين بحرف، سارت مبتعدة تاركة الشجار ينفجر خلفها.

كم تراه ربح؟ لم تعلم. متى سيلاعب لويس؟ لم تكن تهتم، حتى الآن، بالنسبة إليها هذا الأمر التعيس كله قد انتهى حقا. لقد نالت

مافيه الكفاية وأكثر، ولن تضع قدمها في
مكان كهذا قط، بعد الآن.

وليس هذا فحسب إذ كانت تشعر بالاشمئزاز
من نفسها لاقتناعها بالجيء إلى هنا. كان
عليها أن تعلم أنه لا يستطيع الوفاء بالوعد.
كان عليها أن تعلم أنه لا يهتم حقا لما يحدث
لهما مادام يحصل على متعته.

انغلق باب الكازينو الدوار خلفها، أما هي
فسارت نحو السلم بعينين متألفتين وفم متوتر
وجسم متخشب ناوية الذهاب إلى جناحهما
لكنها أدركت فجأة أن ليس بإمكانها أن
تفعل هذا، لا تستطيع أن تعود إلى هناك
تنتظر الحلقة الأخيرة في تنقيب أبيها عن
دمارهما الكلي، ودون تفكير، وجدت قدميها
تتجهان، عبر الردهة نحو الباب المواجه
للكازينو.

توقعت أن تجد غرفة بركة السباحة مقفلة في هذا الوقت من الليل لكنها لم تكن كذلك. رغم أن الأضواء كانت خفيفة إلى أدنى حد، وهكذا كانت البركة نفسها مضاءة، ولا أحد بجانبها.

خلعت حذاءها ثم ثوبها، ووضعتها على كرسي قريب، ثم غاصت في المياه.

لماذا فعلت هذا؟ لا تدري. فهي لم تهتم بأنها غاصت مرتدية ملابسها الداخلية وجوربيها..

أخذت فقط تغوص في الماء وتعلو كشخص
يريد أن يفوز بميدالية.

كانت تؤدي دورتها الأخيرة في السباحة
عندما رأت لويس جالسا على كرسي بجانب
الكرسي الذي وضعت عليه ثوبها، نظرت
إليه ببرودة بالغة وهي تتابع السباحة, وكان
موجودا بعدما قامت بجولتها السادسة في
الماء، وبقي حتى جولتها الثامنة، ثم العاشرة
ولكن التعب حل بها أخيرا وأخذت تلهث

فتوقفت لتتنفي. وضعت ذراعيها متصلبتين
على حافة البركة، ثم أسندت جبينها عليهما
وبقيت بهذا الشكل حتى خف لهاثها.

سألها بهدوء: " هل يشعرك هذا بالتحسن؟ "

-لا-

أجابت بذلك، لترفع وجهها أخيرا وتنظر
إليه: " وهل تشعر أنت بذلك إذ تتفرج

علي؟ "

فأجاب ببساطة: " إنك ترتدين من الملابس
أكثر مما ترتديه معظم النساء اللواتي يسبحن
في هذه البركة".

- لكن السيد المهذب ينسحب بأدب ما أن
يرى الفرق.

- ونحن كلانا يعلم إنني لست سيذا مهذبا.

وابتسم

أتراها استدرجته للاعتراف بذلك؟ نعم. لقد

فعلت هذا. وسرها أن تجعل لويس يعترف

بحقيقته.

—أين أبي؟

—يعد أرباحه، كما أتصور.

وهز كتفيه بعدم اكتراث.

-هل أنت مستعدة للخروج من الماء، أم
تراك تريدني أن أخلع ملابسني وأنضم
إليك؟

-بل سأخرج.

قررت ذلك على الفور، حتى دون أن تفكر
في أن قوله هذا قد يكون خداعا، خبرتها
السابقة بهذا الرجل الخطر، جعلتها واثقة من

أنه لن يتوانى عن النزول إلى المسبح لينضم
إليها.

ولم تكن تريد بأي شكل، أن ترى لويس
فازكيز على مقربة منها. أخذت تفكر بذلك
عابسة وهي تسبح مقتربة من درجات
الصعود.

وعندما نهضت واقفة، كان لويس ينتظرها
بمنشفة كبيرة بيضاء. أما من أين أتى بها فهذا

مالم تعرفه كارولين, ووجدت مرة أخرى أنها
لا تهتم بذلك، بدا أن عقلها قد أُضرب عن
الاهتمام بشيء.

وهكذا صعدت الدرجات وتناولت المنشفة
منه بهدوء وشكرته بأدب وبنبرة لا تعبر عن
شيء.

لاحظ غياب المشاعر عن وجهها،
فقال: "إنك هادئة جدا".

لفت جسدها بالمنشفة، قائلة: "أنا أكرهك
وأحتقرك، هل هذا ينفع؟"

ثم انحنت تعصر شعرها.

قال عابسا: "هذه بداية. هل تريدين منشفة
أخرى لتجفيف شعرك؟"

أخذت تمشط بأصابعها خصلات شعرها، ثم
ألقت رأسها إلى أعلى تبعد خصلة شعر عن

وجعها. كانت السباحة قد محت معظم زينة
وجهها ولم يبق منها إلا الكحل حول عينيها
فبدتا وكأنهما ملوثتان بالسخام في وجهها
الناصع البياض.

قالت: "لا أريد منك شيئاً يا لويس، لأن
فكرتك عن العطاء هي أن تقطع اليد التي
تمتد إليك".

فقال داسا يديه في جيبي بنطلونه: "آه,, هل
اليد التي قطعتها هي يدك؟"

لم تشأ الحديث عن ذلك، وهكذا ابتعدت
عنه لتأخذ ثوبها عن الكرسي ثم اتجهت نحو
الباب، قائلة ببرودة: "أنا ذاهبة إلى
غرفتي. وداعا يالويس وددت لو أقول إن
رؤيتك مرة أخرى شيء حسن، ولكنه
سيكون كذبا، ولهذا لن أزعج نفسي...."

قال متكاسلا: " ألم تنسي شيئا؟ "

وقفت ثم التفت عابسة حائرة.. فما زال
واقفا مكانه طويلا رشيقا فائق الوسامة
بسمرته الجذابة التي تجعل قلب أي فتاة يهفو
إليه.

وهذا قلب كارولين إليه، هي أيضا. فاحتقرت
نفسها لتأثرها به وهي التي تعرف حقيقته.
—مازال حذاؤك ومحفظتك هنا.

أشار إليها بلطف، ثم سار ليحضرهما لها.
سبق أن ألقى الكيس على الكرسي
ورفست حذاءها تحته بعدم اكتراث.

ناولها حذاءها ممسكا برباطيه، فتناولته متوترة
الشفيتين ولكن عندما أرادت أن تأخذ
محفظتها، وضعها لويس في جيب سترته.
فأمرته بقولها: "أعدها إلي، أرجوك"

لكنه ابتسم لها فقط بكسل وسخرية: "كأنك

بهذه اللهجة المتكلفة، مديرة مدرستي"

-وما أدراك بذلك؟ ألم تخبرني يوما أنك لم

تذهب إلى المدرسة إلا نادرا؟"

ضحك برقة راضيا، ولكن كان في لهجته

شيء ما وهو يضيف قائلا:

"آه، عرفت بعض النساء من ذوات الظهور

المتصلبة والأعين الباردة"

ذكرها هذا على الفور بكل المؤسسات
الخيرية التي عاش فيها في طفولته. وتصورت
فجأة صبيا إسبانيا صغيرا وحيدا، أسود
الشعر والعينين، تعلم، حتى وهو في التاسعة،
كيف يعتمد على نفسه لكي يعيش.
كم من الأسرار تبادلاها في ذلك الصيف
الحار منذ سبعة أعوام؟ وهل كل ما أخبرها به
كان حقيقيا؟ وكم من الكلمات استخدم

ليكسب عطفها في الوقت نفسه الذي كان

فيه يسلب أباهأ أمواله باللعب معه؟

– لماذا هذا العبوس؟

سألها بذلك بصوت أبح وهو يدنو منها
بشكل مقلق. فطرفت بجفنيها ورفعت بصرها
إليه, فوجدته مستندا إلى الباب. كانت نيته
في أعاققتها عن الخروج واضحة وهذا دفع
كارولين إلى توخي الحذر.

–أريد المحفظة من فضلك، لويس.

طلبت ذلك بإلحاح، متجاهلة سؤاله ومدت

يدها التي كان حذاؤها متدلّيا من

أصابعها. فتمتم يقول متجاهلا بدوره لهجتها

الآمرة ويدها الممدودة: "أتعلمين أن عينيك

تصبحان رماديتين عندما تغضبين؟"

سرت الإثارة في دمها، فكررت قولها: "محفظتي

من فضلك"

منحها ابتسامة حركت مشاعرها.

-وفمك يتوتر، و . .

فقال بجدة: "كف عن هذه الحركات

الصبيانية"

-ومثيرة . .

أطلقت زفرة مقصودا بها تبديد ضيقها،
ولكنها بدت فقط مشحونة بالمشاعر.
وبدأت أصابعها الممدودة إليه ترتجف
فسارعت تسوي بها المنشفة الملتفة حولها،
وقالت: "سأصاب بالبرد إن بقيت هنا واقفة
بهذا الشكل".

وأخذت ترتجف فعلا، رافضة التفكير في ما
إذا كان السبب البرد أو شيء آخر. وهذا
السبب مهما كان، شغله عن إغاضتها لها،
فاستقام في وقفته بسرعة وخلع سترته
ووضعها حول كتفيها المبللتين.

شهامته الغريبة هذه أوهنت دفاعاتها،
فاغروقت عيناها بالدموع وقالت ضارعة: "لا
تشاركه اللعب لويس".

قال وهو يأخذ منها ثوبها وحذاءها: " أعطيني
هذا وأدخلي ذراعيك في الكمين وانزعي
المنشفة المبتلة هذه . . "

هذا يعني أنه يرفض الإصغاء إليها، وتملكها
اليأس وأطاعته دون تفكير، دافعة ذراعيها في
كمي سترته، شعرته بدفء البطانة الحريرية
على جلدها الرطب البارد، وغمرتها رائحته
فجأة. وقالت بصوت مختنق:

"ظننتك ستساعدني، ولكن ما فعلته هو جعل
الأمر أسوأ فأسوأ".

-الجنون يتجاوب فقط مع جنون أشد منه.
الطريقة الوحيدة لمنعه الليلة من الاستمرار في
المقامرة، هي إعطاؤه سببا جيدا للتوقف،
وهكذا سنلعب خلال ساعة، بعيدا عن
الفندق، لأنني لست . . .

قاطعته كارولين مادة يديها تضغط بهما على

صدره بضراعة وألم:

"أرجوك لاتفعل هذا! كيف يمكنك أن تفعل

هذا بي مرة أخرى؟"

لكن لويس لم يصغ إليها، بل كان يحدق في

يديها الضاغطين على صدره، ثم مد يديه

يغطي بهما يديها، وإذا بها تشعر فجأة بحرارة

جسده وقوة عضلاته وخفقات قلبه القوية

تحت ذلك كله.

هذا القلب الذي كانت تعلم كيف كان يخرج

عن طوره عندما ضمها إليه.

جف حلقها، فقد عادت المشاعر تستخدم

بينهما. وتحركت يداه تاركة يديها ليشدها إليه

وتلامس جسداهما، وصدرت عن كارولين

شهقة:

- لا ..

تأوهت عندما جرّوت على النظر إلى عينيه
الملتهبتين، لكنه لم يجب، لقد فات الأوان
على كل حال، لأنه أخذ الآن يعانقها . .
يعانقها كعاشق . . يعانقها بعنف وعمق
كادت تتحطم معه.

فكرت والدموع في عينيه، في أنها افتقدته
حقا . . افتقدت مقدار تأثير أحدهما في
الآخر . . وتحركت أصابعها من فوق قميصه
إلى وجهه تتلمس تقاطيعه، فتجاوب هو بزفرة

شدد من احتضانها بشكل انطلقت معه
حواسها.

كانت تعلم أن هذا جنود لكنها في هذه
اللحظات القصيرة، أدركت أن لويس هو لها،
وأنها تمتلكه. فإذا قالت له : مت لأجلي
يالويس، فسيموت.

ولكن الأهم والأغرب أنها هي أيضا مستعدة
للموت من أجله.

-لويس . .

همست بذلك في أذنه، وكان لهذا الصوت
الهامس الرقيق تأثير بالغ فيه.

وسخرت من نفسها . . ذلك أن لويس هو
نقطة ضعفها، كما القمار نقطة ضعف أبيها،
فالإدمان على شيء يدوم العمر بطوله، قد
ينقطع الشخص سنوات عما أدمن عليه
ولكن هذا سرعان ما ينفجر لدى أقل رشفة.
وكانت هي ترتشف الآن ما أدمنت عليه . .

لقد أيقظ عناقه في أعماقها حبا هجع طويلا
في عقلها الباطني فهو أول شخص أحبته بل
هو الأول والأخير . . الرجل الذي لم تحب
سواه، الرجل القادر على سلبها روحها إذا
أراد، إنه حبيبها الوحيد ، ، ولكنها تمت ألا
يشعر بما تشعر به . . وألا يدرك أن تجاوبها
القوي هذا دليل على أنه الرجل الوحيد
الذي أحبته.

نسيت في خضم هذه المشاعر أنه الرجل
الذي دمرها ذات يوم، وغدر بها بشكل لم
تستطع الشفاء منه. لم يعد يهمها أبوها.
وماسيقدم عليه، ولم يعد يهمها أن لويس قد
يغدر بها مرة أخرى.

كانت في الواقع، من الضياع بحيث لم تفهم
معنى القرع على باب قاعة البركة الذي
تصاعد، حتى استقام لويس فجأة ثم سار
ومازال يحتضنها نحو الباب بشقه.

أخذت تشعر بالذعر من قوة العاطفة
والمشاعر التي تجمع بينهما، سبع سنوات
مرت على فراقهما وهما يلتقيان ويتدفقان
شوقا إلى بعضهما بعضا وكأنهما جائعان وقعا
على وليمة.

بدا لها هذا عملا من البذاءة والعار، وهذا
ما جعلها تدس وجهها في كتف لويس خجلا،
داعية إلى الله ألا يكون الطارق أباهما.

قال صوت لم تسمعه من قبل بلهجة أمريكية

كلويس: "كل شيء جاهز أمامك نصف

ساعة".

- لا بأس.

قال لويس ذلك بخشونة ثم عاد يغلق الباب

بسرعة، ثم أبعدها عنه بحزم صدمها.

لم تدرك ما حدث إلا بعد لحظات. ولكن

ماهي إلا نظرة واحدة إلى وجهه الجامد

البارد، حتى أدركت أن الرجل المحموم
العواطف الذي كانت تعانقه ، قد عاد فجأة
عدوها.

سألته متوترة: "ما هو الجاهز؟"

فأجاب: "وماذا تظنين؟"

أدركت أنه يعني لعبه مع أبيها، حتى بعدما
عانقها بذاك الشغف، ما زال يريد أن يلعب
معه.

– خذي . .

وانحنى يلتقط ثوبها الذي سقط من يدها
– ارتدي هذا، فقد جف جسدك. فأمامنا
عمل ولا يمكنك الخروج من هنا بهذا الشكل.
عاد يضع سترته على كتفيه العريضتين غير
عابئ بأحاسيسها وهي تقف أمامه شاعرة
بنفسها ذليلة رخيصة.

بدلاً من تلك العواطف المحمومة، وقفت الآن
وقد تملكها برودة الثلج لشدة الرعب، صعد

الغثيان إلى حلقها، ما جعلها ترغم نفسها على
ابتلاع ريقها عدة مرات قبل أن تستطيع

الكلام.

- أكرهك.

همست بذلك، فكان جوابه: "لا أظنك

تكرهيني بالقدر الذي تريدني".

شعرت بنفسها تتحطم، لأن ما قاله حقيقة

صارخة.

وقف ينظر بينما أخذت تسوي ثوبها. وكان
التوتر بينهما مرعبا، لم يحاول أي منهما أن
ينظر في عيني الآخر، لم يحاول أي منهما
الكلام بعد ما قالاه أخيرا.

عندما وقفت أخيرا جامدة، ما يعني أنها أنهت
كل ما عليها عمله في هذه الظروف، فتح
هو الباب، ثم وقف جانبا متجههم الوجه كي
تمر أمامه إلى ردهة الطابق السفلي.

كان الغريب الذي سبق وصادفته في المصعد واقفا يتحدث إلى أحد المستخدمين، وعندما ظهرا رفع بصره إليهما ثم انتبه حالاً.

لم تلاحظ كارولين، فقد كانت مشغولة بمقاومة الشعور الذي تملكها عندما وضع لويس يده على ظهرها وهو يرافقها على السلم.

لم تشأ أن يلمسها الآن ولم تشأ أن يكون لويس بجانبها، كانت قامتها منتصبه ورأسها

عاليا، لكن عينيها كانتا لا تريان، وفي داخلها
كانت تشعر بالموت.

وفي اللحظة التي وصلا فيها إلى الردهة
الرئيسية العليا، سارت مبتعدة عنه.

– إلى أين تذهبين؟

سارت خطوتين ثم وقفت دون أن تلتفت.

– إذا كنت تريد تدمير أبي للمرة الثانية،

يمكنك ذلك لأنني لا أستطيع منعك، ولكن

ليس علي أن أتفرج عليك.

فعاد يسير نحوها: "لكننا لم ننته بعد"

ومد يده يمسك بيدها وسار بها بصمت نحو
باب مكتوب عليه (خاص) انفتح بشكب
سحري عندما اقتربا منه.

قطبت جبينها إذ لم تفهم مايجري، ووجدت
نفسها داخل ردهة أخرى مبلطة برخام أسود
وتبني اللون، ثم قادها إلى باب آخر فتحه
بيده هذه المرة، مشيرا إليها أن تتقدمه إلى
الداخل، ثم أغلق الباب خلفهما بهدوء.

كان هذا مكتبا، كما رأيت كارولين . . مكتبا

بالغ الأناقة باللونين الأسود والتبني.

– ما هذا المكان؟

فسار متجها إلى المكتب حيث جلس خلفه

وانحنى يفتح درجا فيه.

– إنه مكتبي.

فأخذت تنظر في أنحاء الغرفة : "أتعني . .

أنتك تعمل هنا؟"

فأجاب بهدوء: " أعمل هنا وأعيش هنا . . ".
ووضع ملفا جلديا ثقيلًا على المكتب أمامه :
"فهذا فندي، يا كارولين"

الفصل الثالث: امرأة بين نارين

فندقه ..؟ وهزت كارولين رأسها، ثم قالت:
-ولكن هذا أحد مجموعة فنادق "الملاك".
و"مجموعة المللك" ضخمة. لم تشتهر لما تملكه
من فنادق فخمة في أنحاء العالم وحسب، بل

لأنها تملك مصالـح أكثر أهمية على شكل
صفقات واتفاقيات دولية.

رفع رأسه ونظر إليها، فعم قلبها الذعر، ذلك
أن "مجموعة الملاك" اقتنت حديثا مصرفا في
لندن تتعامل أسرة نيوبري معه كثيرا . . أخيرا
ظهرت لها الحقيقة، فهمست: "آه، يا إلهي،
هل أنت الذي استدعانا إلى ماربيا من أجل
الديون"

لم يُجب ولم يكن بحاجة إلى ذلك فالاثبات
مكتوب على وجهه، ولم تستطع هي سوى
الوقوف لترى كل صورة نسجتها في خيالها
عن لويس فازكيز، تتصدع ببطء ثم تتحطم
أمامها حتى لم تعد ترى فيه لويس الحبيب أو
حتى لويس المخادع القاسي الذي احتال
ليسلب أباهما عشرات الألوف من الجنيهات.

همست بضعف: "مالذي تريده؟"

أخذت تفكر في أن لويس الحاذق المتمرس
البارد كالثلج قد ارتفع عاليا في العالم، أما هي
وأبوها فأنحدرا إلى القاع.

—أريد منك أن تجلسي فليس لدينا وقت
كافٍ، والآن بعدما فهمت سبب وجودك هنا
فلنبداً العمل . . .

العمل ، غمرتها هذه الكلمة بموجة باردة،
وعندما تقدمت نحوه على ساقين مرتجفتين
لتجلس على كرسي أمامه، جلس لويس

وفتح الملف، ثم أخرج منه ورقة دفعها
باتجاهها.

- أخبرني إذا كنت توافقين على ما هو مكتوب
هنا.

جاهدت لتركز ذهنها فقلبتها يكاد يتوقف
لثقل ماستراه أمامها، مدت يداً مرتجفة تجذب
الورقة ترغم نفسها على القراءة.

كانت قائمة دقيقة للغاية تحصي كل قرش
يدينان به، إضافة إلى مبالغ كثيرة، كثيرة
لا تعرفها.. لكنها لا تشك في مصدقيتها لأنها
ترى أسماء كل الأماكن التي كان أبوها يزورها
في لندن مكتوبة أمامها.

الرقم الأخير كان مفرعا إلى حد أنها اقشعرت
عند رؤيته، وقالت بصوت خافت: "هل لي
بجرعة ماء، من فضلك؟"

نَهَضَ لُوَيْسٌ بِصَمْتٍ، ثُمَّ أَحْضَرَ لَهَا كَأْسًا مِنْ
مَاءٍ فِيهِ ثَلْجٌ وَضَعَهُ أَمَامَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى
كُرْسِيِّهِ، أَمَا هِيَ فَرَفَعَتْ الْكُؤُوبَ تَرَشَّفَ مِنْهُ،
وَتَقُولُ: " لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَدْفَعَ لَكَ دِينَكَ
هَذَا.. يَا لُوَيْسَ.. لَيْسَ كُلُّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ "

—أَعْلَمُ هَذَا.

رَشَفَتْ مَزِيدًا مِنْ الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَطِيعَ
الْمَتَابَعَةَ: " إِذَا رَفَضْتَ مَلَاعِبَتَهُ اللَّيْلَةَ، فَيَسْكُفِي

المال الذي ربحه في الكازينو، والمبلغ الذي

أملكه لسداد قسم صغير من هذا"

ولكن ليس كله.. أضافت ذلك لنفسها

بصمت وكآبة.

– اللعبة المخطط لها.. وهذه الديون موضوعان

منفصلان، وأنا لا أمزج العمل بالمتعة،

كارولين، هل تفهميني؟

تفهم؟ لا لم تفهم، وصرخت وهي تلقي

القائمة عليه.

-ولكن لدينا وسائل ترد بها قسما من هذا
المبلغ، يالويس، وأنت تريد أن تلعب القمار
من أجل متعة جهنمية، فأين حس العمل في
هذا؟

لم يتنازل لويس بالنظر إلى القائمة التي
انزلت على المكتب لتستقر في حجره بل كما
وجهه جامدا وهو يسألها: "من أين حصلت
على ذلك المبلغ الخاص بك؟"

- لا شأن لك بهذا.

تمت بذلك ثم وقفت وسارت مبتعدة عن
المكتب.

- إذا كنت تأخذين من شخص لتدفعي
لشخص آخر، فهذا يجعل الدين أسوأ وليس
أفضل.

قالت كارهة: "ورثت مالا عن أمي"

- لا ، لم ترثي .

- ماذا؟

والتفتت إليه، ورأت في عينيه علمه بالحقيقة.

- أموال أمك ذهبت منذ سنوات سدا اذا

لدين، وبعد ذلك أمضيت أنت الأعوام

القليلة التالية في بيع أملاك الأسرة قسما بعد

آخر، حتى لم يتبق لديكم سوى القليل مما

يستحق البيع، ثم جاءت فترة هادئة تحسن

فيها سلوك أهلك مدة سنتين، أو هذا ما

اعتقدته أنت، وعندما ابتداء كل شيء مرة
أخرى، عدت لفرز قطع أرض واقعة في
أطراف مزرعة الأسرة بعثها لرجال أعمال
أثرياء كانوا يبحثون عن أماكن ينون بيوتا
للمتقاعدين، لكن المجلس التشريعي منع ذلك
أخيرا محافظة على التراث الريفي أو شيء
كهذا، فماذا بقي لديك للبيع، كارولين؟ بيت
الأجداد، وهو مرهون؟ أم ما بقي من ميراث
الأسرة.. الذي أصبح ملك المصرف على
الورق أقل؟ أو ربما تفكرين في سداد ديني من

العمولة التافهة التي تتقاضينها من مصممي
الديكور الداخلي في لندن، الذي يطلبون
معرفتك بالفنون الجمالية وتذوقها للبحث
عن قطع فنية يزينون بها بيوت زبائنهم
الأغنياء.

شعرت وكأنها سحقت على الأرض بمطرقة
خشبية، لم تشعر في حياتها قط بمثل هذا
الهوان.

—وماذا بعد ذلك، يا كارولين.

وزاد في سحقتها بصوته القاسي.

-ماذا بقي لديك ليرضي اي مصرف له عليك دين بحجم ديونك؟ ربما نفسك؟ هل تفكرين في عرض نفسك كمومس لمن يدفع أكثر؟ وبذلك يستمر بابا في مزاوله هوايته المدمن عليها لأنه لا يستطيع منع نفسه؟

- كفى! أقفل فمك . . أقفل فمك!
واختنق صوتها ولم تستطع أن تسمع المزيد،
وأخذ وجهها يسحب، ومعنوياتها تتحطم

وراحت تحرق ببلادة وعدم فهم لسبب

قسوته هذه.

— ما أدراك بكل هذا؟ من أين حصلت على

معلوماتك؟ منذ متى وأنت تجمع هذا ..

الملف عني؟

وأشارت بيد مرتجفة إلى الملف الذي أمامه.

— يمكن شراء المعلومات في أي وقت وفي أي

مكان مادام بالإمكان دفع النقود ثمنا لذلك.

-وهل يعطيك هذا الحق في التجسس على حياتي؟ لماذا يالويس؟ لماذا؟ ماالذي اخطأت به بحقك وجعلك تلاحقني بهذا الشكل؟ أنت الذي استخدمني وجعلني أتعلق بك.. يوما بعد يوما في الوقت الذي كنت تعمل على المقامرة مع أبي، هل تذكر؟
لكن نضج صوتها بالألم.

قال: "لا أريد الحديث عن ذلك"

ثم وقف

فجأة.. متوتراً.. مثلها.. غاضباً.. مثلها.. ومليئاً
بالمرارة.. مثلها..

قالت بازدياء بالغ: "آه! عندما وصل الأمر
إلى أخطائك، لم تعد تريد التحدث عنها،
لكنك سجلت بكل سرور أخطائي
وعيوبي.. حتى جعلك حقدك تدعوني مومساً"

– أنا جعلت هذه الصفة خياراً لك وليس

حقيقة واقعة.

قال ذلك يصح كلامها لكن الشحوب
كسا وجهه فعلت كارولين أنها مست وترا
حساسا في مكان ما من روحه القاسية.

– كلانا يعلم من منا باع نفسه مقابل
الذهب، لويس.. تعلم أنك سعيت إلي لأتعلق
بك حتى أنسى أبي فلا أراقبه!

—حسناً، دعينا ننه هذا الأمر.

واستدار حول المكتب متجها نحوها، أراد أن

أن تتراجع، لكنها لم تستطع لأنه وقف

أمامها والوعيد على ملامحه.

—تظنين أنني بعت نفسي مقابل الذهب منذ

سبع سنوات.

أدرکت کارولین أنها مست هذا الوتر الحساس
فيه، إذ تابع يقول: " فلنر إذن من منا يمكنه
الغوص في الأعماق، هذه المرة هاي هي
الاتفاقية، كارولين، إما أن تأخذها أو
تدعيها، ابقى عندي الليلة ولك ألا أعب مع
أبيك "

تبقى عنده؟ إنه محظوظ لأنها لم تصفعه!
وقالت باشمئزاز: " حسنا، إن لم يكن هذا هو
مزج المتعة بالعمل، فماذا يكون؟ "

- لا، لا بل هذا يدعى مزج المتعة بالمتعة.
كان يتسم ، هذا الشيطان الأسود القلب.

- اذهب إلى الجحيم.

وارتدت على عقبها تبغي الخروج بأسرع
ما تستطيع.

فقال لها بسرعة: "ما إن تفتحي الباب، حتى
تبطل هذه الاتفاقية"

جمدت خطواتها لكن خفقان قلبها استمر
مندفعاً! ثم استدارت تواجها، ولم يكن لويس
بحاجة إلى الكلام لكي يعلم بماذا كانت
تفكر. وقال ساخراً يهز كتفيه: " لكل
شخص ثمن، يا كارولين، وأنا أريد أن أتأكد
فقط من ثمنك، هذا كل شيء . . . "

فقال بصوت خافت: " لن أصفح عنك قط
لهذا "

فسألها بنعومة: "هل تحاولين بهذا القول أن
تخبريني بأن البقاء معي يؤمك؟"

استحالت البرودة في جسدها إلى حرارة ..
حرارة وضيق .. بعدما استجاب له قلبها
قرب بركة السباحة بتلك القوة، لم تعد
تستطيع الادعاء بأن البقاء معه يزعجها.

ومض ضوء فجأة على جهاز التخاطب
الداخلي على المكتب، فأنقذ كارولين من
اضطرابها إلى اتخاذ أسوأ قرار في حياتها.

عاد لويس إلى مكتبه وجلس على كرسيه ثم
ضغط زر الجهاز، مجيباً: "نعم؟"

فجاء الصوت العميق نفسه الذي سمعته من
باب قاعة بركة السباحة: "حان وقت ذهابنا"
ضاقت عيناه وهو ينظر إلى كارولين مفكراً،
غجأة أخذت ترتعش فأسرعت تلتمس

الجلوس على أقرب كرسي إليها، تعثرت وهي
تتجه نحوها. وأثناء جلوسها كان يقول: " بعد
دقيقتين، يافيتو . . "

ثم قطع الاتصال.

الأحداث والصدمات التي توالى عليها
والقلق البالغ حطمها في داخلها، فأخذت
تحقق عاجزة في لويس وأدركت أنه كان ينتظر
منها النطق بالموافقة.

حولت نظرتها بعيدا، شاعرة بطعنة ألم في
صدرها لأنها لم تستطع احتمال النظر إليه
والنطق بكلمة الموافقة.

عند ذلك فقط رأتها . . فشهقت قائلة : " آه
يا إلهي "

فقد لاحظت للتو صورة العقرب الزاحف
على الجدار خلفه، كانت الصورة نابضة
بالحياة إلى حد جعلها تتراجع إلى الخلف في
كرسيها متجنبه إياه، بحركة غريزية.

-لويس . . هذا شيء شنيع.

قال باسمًا : "لكنه فعال"

حينئذٍ تذكرت أنه أخبرها يوماً بأن أول عمل قام به هو امتلاكه نادياً ليلياً في نيويورك يُسمى - كما قال ساخراً- العقرب وهو نادٍ اشتراه من صديق قديم أرغمه تدهور صحته على التماس حياة أهدأ، وفي غضون سنتين

باع لويس بمبلغ ساعده على اتخاذ وجهة
جديدة في الحياة. وتذكرت عندما قال لها
راضيا حينذاك: "ومنذ ذلك الحين ، لم أشعر
بحاجة إلى النظر إلى الخلف"

ويبدو أنه أبقى على هذه العقرب كذكرى
حسنة ولحنين ولكن أيمن أن يكون سبب
ذلك شيء غير الحنين؟ هل هو تحذير أن لهذا
الرجل الأسمر المجرب جانبا آخر في شخصيته
هو أشبه بسم العقرب؟

عادت تنظر إلى لويس فرأته يراقبها بالتواء
ساخر في فمه وكأنه يعرف ما تفكر فيه
ويسره ذلك، فتمتت وهي ترتجف: "العقرب
يلسع ضحاياه بذكاء واستقامة يالويس
وماتعرضه علي لا يدل على ذكاء واستقامة"
-وما أهمية الذكاء والاستقامة لشخصين
تجمعهما كل هذه المشاعر القوية المحتدمة.

وابتسم وهو يغلق الملف ويعيده إلى الدرج ثم

يقف قائلاً: "حسناً . . فلنخرج"

فلنخرج؟ فقالت باحتجاج وحذر: "لكنني لم

أوافق بعد على عرضك"

قال وهو يتقدم نحوها: "قرري فيما بعد،

ليس لدينا وقت حالياً للكلام في هذا الأمر"

ووجدته يرفعها بحزم لتقف. في هذه اللحظة

أدركت أن خياراتها تضاءلت وأن الوقت

انتهى، وماهي إلا ثوان حتى رافقها بصمت
من الغرفة إلى الخارج حيث العتمة الهادئة
الدايفة.

كانت سيارة "بي..أم..دبليو" فخمة تهدر
أمام المدخل، فتح لويس الباب الخلفي ثم
ساعدتها على الدخول قبل أن يدور ويصعد
على الناحية الأخرى من السيارة. وما أن
انغلق الباب حتى تحركت السيارة يقودها
رجل كان مختفياً خلف زجاج غير شفاف.

– إلى أين سنذهب؟

– ستريين.

كان الوقت متأخرا، ولكن من خلال نافذة السيارة الجانبية، رأت المنتجع حافلا بالناس المستمتعين بزيارة أحد أماكن مارييا الأنيقة. مضت أعوام منذ أن كانت تفعل مثلهم، حين كانت خالية البال، سنوات وسنوات من

ضبط النفس ومراقبة ابيها، لأنها كانت تعلم

أن لا أحد غيرها سيراقبه.

—إنه بخير، فلا تقلقي عيه.

تمتم لويس بذلك وكأنه يقرأ افكارها.

أطلقت ضحكة هازئة، منذ متى لم تقلق على

والدها؟ لقد كان في عنفوانه شابا ضليعا

منحلا فلم يغيره الزواج، وإن كانت تظن . .

أو ترجو أنه كان مخلصا لأمها.

لا، حدثت نفسها بحزم بأن أباها لم يكن رجلا
عابثا، نعم، كان مقامرا محتالا، لكنه أحب
أمها، وعندما ماتت فقط، عادت إليه نقاط
ضعفه الماضية ناشدا بذلك نسيانها أو هذا
ما كان في البداية، على الأقل.. أما الآن..؟ ولم
تبحث عن جواب لهذا السؤال، لأنها تعرفه.

أخذت السيارة بالصعود نحو فيلا ريفية
خاصة، ميزت كارولين المنطقة لأنها تعرف
كثيرين ممن يملكون بيوتا صيفية هنا، كان هذا

ملعبها، المكان الذي أمضت فيه عطلاتها
الصيفية، لاهية خالية البال، بعيدا عن قيود
مدرستها الداخلية، كان لديها أصدقاء هنا
بقدر ما كان لديها في وطنها حينذاك، أما
الآن فلا تكاد تتذكر واحدا منهم، ولا يمكنها
سوى الارتجاف لذكرى زيارتها الأخيرة
المشؤومة إلى ماربيا.

انعطفت السيارة فجأة إلى اليمين داخله من
بوابة مفتوحة صعودا على طريق خاص نحو

فيلا خاصة ريفية الطراز بُنيت على سهل
مستو يمتد يمينا وشمالا حول مدخل له قنطرة
حجرية ادت بهم إلى ساحة.
حالما توقفت السيارة أما مدخل واسع
مهيب، خرج لويس منها ودار ليفتح لها
الباب لتنزل.

– ما هذا المكان؟

سألته هذا وهي تنظر إلى الجدران البيضاء
المغطاة بالنباتات المتسللة التي كانت تحيط

بهم الآن، ولكن ما جذب انتباهها حقا كانت
السيارات المتوقفة هنا، السيارات تعني
الناس، والناس تعني ...

هتفت مذعورة عندما أمسك بيدها وأخذها
إلى الداخل والداً المدخل:
"لويس ما الذي يجري هنا؟"

قال: "حفلة"

تساءلت كارولين عما إذا فقدت عقلها، ألم
يكفه ما أساء إليها في هذه الأمسية حتى يجبرها
ببساطة إلى حفلة.

قالت رافضة دون أن تتحرك من مكانها: "لا
سبيل إلى ذلك لا أريد الذهاب إلى حفلة
وخصوصا الذهاب بهذا. . . المنظر"

استدار ينظر إليها، وفجأة التهبت عيناه،
وقال بصوت أجش: "تبدين مثيرة"

مثيرة؟ وكادت تضحك عليه، ثم قالت
متهكمة: "هذه أحسن كذبة علي حتى الآن."

كنت أسبح منذ قليل وشعري أشعث وليس
على وجهي أي زينة"

ابتسم قائلاً: "أرى هذا . . ."

شئت ابتسامته أفكارها، لأن هذا هو لويس
الحقيقي القديم، الرجل الذي اعتاد أن يتسم
لها بهذا الشكل قبل سبع سنوات . . . في
ذلك الوقت كانت مستعدة لقطع لسان أي
شخص يحاول أن يخبرها بأنه كان يستغلها.

أوهنت هذه الذكريات عزيزتها , , وجعلتها
ترغب في التخلي عن الحذر وفي مبادلته
ابتسامته . . أرادت أن تعود كارولين القديمة،
حين كانت الحياة رائعة وكانت تظن نفسها
خالية من كل هموم الحياة.

ارتعشت يدها في يده . . كردة فعل لتمنياها
الخفية، فاشتدت أصابعه على يدها وكأنه
ظنها تحاول الهرب فحاول منعها.

-لويس . .

قالت هذا ضارعة، مستجيبة لتلك اللمحة
من ذلك الرجل الذي عرفته.

كانت كمن ينظر إلى نسيج حي يستحيل إلى
حجر: "إذا كنت ستبدأين بالتضرع، فلا
تفعلي. ابتعدنا كثيراً عن تلك المرحلة التي
كان فعلك هذا ينفك"

متى كانت تلك المرحلة بالضبط؟ لقد
أجفلتها هذه الصفة الكلامية بشكل لم
تزعج نفسها بإخفائه. هل كان ذلك حين
تعانقا عند بركة السباحة؟ والتوى فمها
ساخرا لهذه الفكرة. لأن الرجل الذي عانقها
بعاطفة لامثيل لها، تمالك نفسه بسرعة بالغة
وأصبح أقوى من أن يضعف أمام أي شيء .
حتى أمام صوت تلك المرأة الضارعة التي
كانت بين ذراعيه حينذاك.

أم في مكتبه عندما ذبحها بكلماته بكل قسوة
وكفاءة؟ لم يكن ثمة مجال للضراعة . . لم يكن
هناك مجال لأي شيء إلا المرارة والغض والألم

و ..

وسألته: " أفهم من هذا أن المفاوضات

انتهت؟ "

أوماً باختصار: " كل ما أريده منك الآن هو

مجرد نعم أو لا لما عرضته عليك "

-أتعني ابتزازك؟

-لا بأس ابتزازي.

وهز كتفيه دون اكتراث لتلاعبها بالألفاظ.

ثم أخذها إلى ردهة واسعة رخامية بمعظمها .
ثم اجتازا ممرين ضيقين إلى اليسار ثم اليمين،
افترضت أنهما يصلان بين جناحي الفيلا
المنفصلين، لكن لويس أخذها إلى إحدى
الغرف بعد الممر الرئيسي مباشرة. وسألته:

"لمن هذا المنزل؟ أريد فقط أن أعرف إلى
ضيافة من سأسىء بقدومي إلى حفلته بهذا
الشكل . . ."

أجاب: "لا حاجة بك إذن إلى التفكير في
ذلك، مادمت أنا الذي ستسيئين إليه"

إنها ليلة حافلة بالصدمات، وهذه صدمة
أخرى، وتذكرتلويس منذ سبع سنوات وهو
يقول لها باسماء، إنه لا يعيش في بيت، وإن
البيوت بُنيت من أجل الأسرة وهو بلا أسرة.

ويومذاك رأت الكآبة في عينيه وهو يقول
ذلك، فأدركت أن الأمر يؤلمه في أعماقه.

هذه الذكرى جلبت معها سؤالاً آخر كاد
ينسف عقلها نفساً، فقالت بصوت مختنق:

"هل أنت متزوج الآن"

جعلها جوابه الذي كان قهقهة عالية تغفل
عما كانت ستواجهه.

أخذ قلبها يخفق بعنف دفعها إلى الشعور
بالغثيان، كانت غرفة رائعة، مؤثثة بأجمل
ماتمخض عنه الذوق الأسباني.

ولكن لم تكن الغرفة هي التي جعلتها تجمد في
مكانها، أو حتى تحويل أكثر من عشرين
شخصاً انتباههم إليهما . . بل أناقتهم البالغة
التي جعلتها تنكمش متراجعة شبه مختفية
خلف لويس، وهي ترفع أصابعها بخجل
لتلمس خصلات شعرها الجاف.

لا، لم يملأها رعبها إداركها أنها تبدو وكأن
لويس أخرجها للتو من البحر كعروس بحر
ليحضرها إلى هنا مباشرة من باب التجديد
والطرافة، بل مشهد مائدة خضراء تنتظر
جاهزة على بعد ثلاث أقدام من حيث تقف،
وبجانبيها مدير اللعب الرزين الوجه وهو يعد
الفيشات المختلفة الألوان وينظمها في
أكداس متراصة على المائدة.

—أين هو؟

همست بذلك وقد أدركت حقيقة ما جاء

لويس لأجله إلى هنا.

لم يحاول حتى التظاهر بعد فهمه السؤال،
فأجاب: "في إحدى غرف النوم، يرتاح قبل

ابتداء السهرة"

ابتداء . . أخذت هذه الكلمة تتأرجح أمام
حواسها المتجمدة ولم تكد عيناها الزجاجيتان

تريان الناس المنتظرين، رغم وقوفهم بصمت
وانتظار متوقعين أن يقدمها لويس إليهم.

لكن كارولين لم تشأ أن يقدمها إليهم، فقد
شعرت بالغثيان وبتخبط مشاعرهما، فهؤلاء
ليسوا مقامرين.

حان وقت القرار، الآن قبل أن يسوء الوضع،
ودون أن تفكر في ما هي موشكة على عمله،
التفتت عليه بثبات ووقفت أمام لويس
مباشرة.

همست مسندة وجهها إلى كتفه : "لابأس"

سألها مقطبة جبينه بحيرة: "لابأس بماذا؟"

أجابت وهي تقبض على كفه بأصابعها

الباردة بعنف: "لابأس، أقبل عرضك الآن".

** ** * * * * *

الفصل الرابع: صفة الاحتقار

أوحى إليه توتره المفاجئ بأنها استطاعت أن
تصدمه، لكنها لم تهتم لأنها أرادت فقط
الخروج من هذه الغرفة وتريد أن يخرج أبوها
منها هو أيضاً.

أمسك بكتفيها فجأة بيديه الصلبتين:

"كارولين . . ."

قاطعته بصوت مختنق وفمها يرتجف: "لا!
أخبرتني بأن المفاوضات انتهت. أنت أردت
جوابي، وهذا هو، فأخرجني من هنا"

تنهد وهو يشدد قبضتيه ثم تتم: "يا لك من
حمقاء!"

ثم قال لمن حوله ساخراً: "إني أعتذر،
سأعالج أمراً مع مرافقتي، أرجو منكم أن
تتابعوا استمتاعكم ريثما أذهب معها وأحاول
تسوية الأمور بيننا قبل أن أعيدها إلى هنا"

دمدمة الدهشة والذعر المفاجئ التي أجابوه
بها نزلت عليها كلسع السوط. وكان لويس
يقابل ذلك بابتسامة من خلال أسنانه التي
كان يصرف بها، رفع يديه عن كتفيها
وأحاطهما، بدلا من ذلك بذراعه ثم سار
معهما متصلبة ومرتجفة الجسم، خارجا بها من
الباب.

كان غاضبا منها غضبا شديدا لتسببها بذاك
المشهد وكانت كارولين تعرف هذا ولكن لم
يعد باليد حيلة. فما وافقت عليه يقبض على
صدرها كقبضة من حديد تمنعها من النطق
بكلمة واحدة تدافع بها عن نفسها.
جرها عابسا وكأنها طفلة يجرها أب حازم،
اجتاز بها لويس الردهة إلى الممر المقابل
حيث كان هناك باب مفتوح على غرفة
فسيحة مفروشة بأناقة مماثلة للغرفة الأخرى.

انغلق الباب خلفهما، فوقفت كارولين أمامه

عالية الرأس.

لم تستطع رؤية وجهه لأنه كان يدير ظهره
إليها، لكنها رأت توتره، وشعرت بالسرور
لأنها هزت اتران لويس فازكيز الذي لا يهزه

شيء.

تحرك أخيرا، مخترقا الصمت بزفرة قوية قبل
أن يخرج من جيب سترته محفظتها، ثم يلقيها

على كرسي.

خلع سترته بعد ذلك ووضعها على السرير،
كان قميصه الكتاني من رقة النسيج ماجعلها
ترى سمره بشرته من خلاله، وكذلك عرض
كتفيه وسمره عنقه فخفق قلبها، وجف
حلقها، واشتدت القبضة الفولاذية حول
صدرها، واستدار هو ينظر إليها مقوماً جاعلاً
إياها تحبس أنفاسها.

لم تستطع أن تتكلم لشدة توترها . . لكنها
ماكانت لتتكلم حتى ولو استطاعت، لقد

كشفت كل مافي نفسها، ولم يبق عليه سوى
أن يفعل هو الشيء نفسه.

-لديك ربع ساعة لتقومي بكل مايلزم
لتواجهي ضيوفي دون دعر.

أذهلها قوله تماما، فلماذا هذا الغضب؟
أليس هو من اقترح عليها هذا العرض؟
فلماذا يبادر الآن إلى صفة الاحتقار هذه.

لكن رأسها ازداد ارتفاعا، وبرقت عيناها

البنفسجيتان تمردا أخفى مشاعرها.

- لكنني لا أريد أن أواجه ضيوفك بأي

شكل.

قال ببطء: " ومع ذلك، فهذا ماستفعلينه "

- لا علاقة لهم بما نحن هنا لأجله!

لكن كل مافعله لويس هو السير نحو صف

من خزائن الثياب الممتدة من الأرض إلى

السقف. بينما تابعت بغضب وهي تلحق به:

"ولكن ليس أصدقائك من ملأوني ذعراً، بل تلك المائدة الخضراء التي تنتظر هناك جاهزة لكي تراول عليها عملك الشنيع في هدم أبي"

فقال وهو يفتح إحدى الخزائن: "مازلت

تفترضين إذن أنني الرابع"

وقفت قائلة بصوت يرتجف: "سواء رجحت أم

لا، فهذا لن يتم، ألم نتفق أن لا تلاعبه إذا

قبلت عرضك؟ كان هذا العرض عرضك وقد

قبلته أنا"

بعدها أخرج سترة عشاء أخرى، نظر إلى
وجهها القلق المتمرد، ثم ابتسم تلك
الابتسامة التي يمكن أن تجمد نهرًا جارياً:
"لقد سحبت الرهان"

قال ذلك بلطف وهو يرتدي سترته.
سألته متلعثمة وهي تنظر إليه بذهول: "لا .
لا أفهم . . ما . . ماذا تعني؟"

قال بعدم اكتراث: "سحبت الرهان وتغيرت

الاتفاقية"

-ولكن . . لكنك لاتستطيع هذا!"

نظر إليها ساخرا: "لم لا؟ هل ستمنعيني؟"

صرخت بارتباك بالغ: "ولكن . . سبق أو وافقتك على اتفاقيتك الحقيرة تلك. ماالذي

تريده مني غير ذلك يالويس؟"

-آه هذا هو الأمر(الحقيرة).. لقد قررت ألا

أطلب شيئا حقيرا.

وأخذ يتفحص ربطة عنقه أمام المرأة: "في الواقع، صفة (الحقارة) لا تناسب خطتي على الإطلاق، وهذا هو سبب تصميمي على سحب الرهان"

سألته بقنوط بالغ: "ماذا تريد إذن، بحق الإله؟"

فنظر إليها في المرأة، وعيناه السوداوان
لا تعبران عن شيء، وهذا جعل كارولين تكف
عن التنفس، منتظرة انتهاء هذا الصمت، ثم
. . . ثم أجابها بكلمة واحدة نسفت ذهنها:

"الزواج"

ثوان، دقائق . . لم تعرف كارولين كم من
الوقت مر عليها وهي تقف تحديق فيه، وكأنه
علسكوكب وهي على كوكب آخر.
ثم أطلقت ضحكة مرتجفة: "أنت تمزح"

لكن هدوء البالغ، وملاحمه الجادة للغاية
أنبأها بأنه لا يمزح، إنه يعني ذلك، الزواج،
لويس يريد أن يتزوجها!

ودون كلمة استدارت متجهة إلى الباب،
كانت تحدث نفسها بأن الأمر تجاوز الحد
وطال أمده، وهي الآن . . .

وتسلل صوته خلفها برقة الأفعى: "لقد مثلنا
هذا المشهد من قبل يا كارولين، ولكن يسرني
تمثيله مرة أخرى إذا شئت . . . فاخرجي إذن

من هذا الباب، فألاعب أنا أباك الليلة على

المائدة الخضراء"

تجمدت يدها على مقبض الباب، واستدارت

إليه ببطء تم استندت إلى الباب خلفها،

ونظرت منهزمة، إليه مستنداً إلى الخزانة

المصنوعة من خشب الورد متصلب القدمين

ويداه في جيبه.

كان طويلاً أسمرًا وأكثر الرجال الذين قابلتهم
في حياتها جاذبية، والثقة بالنفس تنضج من
كل خلية في جسده المسترخي.
هذا الرجل الواثق من نفسه يخفي سبباً
غامضاً لطلبه هذا.

سألته وهي تهتز: "يبدو أن لديك سبباً وجيهاً
لهذا العرض؟"

— نعم.

فتوتر فمها: "هل لي أن أعرف ما هو ذلك

السبب؟"

أجاب: "ليس قبل أن توافقي على ذلك،
وربما هذا غير كافٍ، إذ هو يعتمد على نوع

الموافقة عليه"

قالت برقة بالغة وقد ابتدأت تغضب: "كيف
تريد مني أن أوافق على ذلك؟"

فلاحت شبه ابتسامة على فمه: "حسناً،
كلمة (نعم) تنفع كخطوة أولى، ولكن أن
أسمعك تقولين نعم لأنك لا تتصورين حياتك
بدوني، لأمر جميل جداً"

بما أن نسبة حدوث ذلك هي أقل من العدم،
لم تزعج نفسها بالجواب على مايقول، بل
قالت تسأله: "وما نسبة الحظ في أن تغير
الاتفاقية قبل أن تنتهي مني؟"

هز رأسه: "أنتهي منك؟ في هذه الحالة،
لا يمكن أن أنتهي منك، قد أبدو رجلا أميركيا
متحرراً، ولكن تذكرني أنني أسباني، ولأنني
أسباني فأنا أتزوج مرة واحدة في حياتي، زواجا
لا افتراق فيه . فضعي ذلك في حسابك
عندما تقررين، إنني أريد حياتك يا كارولين،
ولأنني رفعت قيمة الرهان، فلن أمتنع عن
اللعب مع أبيك فقط هذه الليلة، بل سأوافق
على دفع ديونه كلها، وأخلص منزلك من
الرهن وأبقيه لك حتى نهاية حياتك، وسأستلم

في الوقت نفسه منك وظيفة حراسة ومراقبة
أبيك، هل هذا يُحسن هذه الاتفاقية قليلاً في
نظرك؟"

يُحسنها، بل يجعلها إجبارية، وشعرت بهم
جعل شعورها أقرب إلى الهزيمة . .

— إذا كان هذا مدى الحياة، فلماذا اخترتني
أنا بالذات، إذن؟

وقطبت جبينها، متمنية لو تفهم مايجري،
وكانت تعلم أن هناك شيئاً ما لا يريد لويس
الحديث عنه.

-ولماذا لا أختارك؟ أنت رائعة الجمال؟
حسنة النشأة والتربية، يمكنك ان تزيني ذراع
أي رجل.

قالت بمرارة: "بكلمة أخرى، تذكر نصر"

- كما تشائين

لم يشأ مناقشتها في هذا الوصف المشبع

بالاستخفاف

- لكن الصدق يرغمني على أن أضيف أنني

مازلت أرغب فيك بشكل جهنمي وإلا لما

كنت تقفين هنا على الإطلاق صدقيني.

أجفلتها ابتسامته الجافة، لكنها استوعبت

جيدا ماقاله، ومامعناه "احمدي ربك لأنني

مازلت أرغب فيك، وإلا كنت الآن واقفة في
مكان مختلف كلياً تواجهين متاعب جمّة"

قالت باختصار وبكل بساطة:

"نعم.. سأتزوجك"

لم يحاول لويس والحق يقال التبجح بانتصاره

بل اكتفى بأن قال:

"هذا حسن"

ثم استقام واقفا وتحول يفتح الدرج الأعلى.

وحين وقفت كارولين تنظر إليه، خيل إليها أنها تلاحظ رجفة ضئيلة للغاية في يده ولكن عندما التفتت ورأته يحمل منديلا نظيفاً في يد ثابتة للغاية فهمت أنها كانت واهمة.

-لديك الآن عشر دقائق لتحسني شعورك
بشأن الاجتماع لضيوفنا.

قال ذلك بلهجة متملكة لم تغب عن ذهن

كارولين: "الحمام خلف ذلك الباب،

والملابس في الخزان، لدي عدة اتصالات

علي أن أنجزها"

ثم أخذ يسير نحوها وقد عاد لويس فازكينز

الهادئ البارد الغامض الذي طالما ازدري

فكرة الضعف.

كانت تسد الباب الذي أراد المرور منه
للقيام باتصالاته. لكن كارولين لم تشأ على
الإطلاق أن تتحى جانبا ولو مقدار إنش
واحد لكي يمر.

وصل إليها، ثم وقف فأخذ قلبها يخفق، كان
أطول منها، أعرض منها، وأشدد اسمراراً، كان
يرهبه بشكل لم تشعر به من قبل أن تعرفه.

سألها ساخرًا من عنادها: "هل هناك ما غفلنا

عنه؟"

ابتلعت ريقها وقد تملكها توتر شديد قبل أن

تقول ما بذهنها.

— ألم تؤلمني بما يكفي منذ سبع سنوات؟

فلماذا تستمر في انتقامك هذا الذي يبدو

أنك تضمه لأسرتي؟

رفه يده يلمس خدها الشاحب فالتهمت

بشرتها تحت أصابعه.

تمتم: "منذ سبع سنوات ماكنت بحاجة إلى
إلقاء هذا السؤال"

-منذ سبع سنوات ظننتك تحبني. لكنه لم يكن
حياً، أليس كذلك يا لويس؟ كنت مجرد تسلية
بين أمورك الجادة.

سألها بابتسامة غريبة: "هل هذا ماتظنيه؟"
-بل هذا ما أعرفه.

مازالت حتى بعد مرور سبع سنوات تشعر
بمرارة هذه المعرفة التي تنهش قلبها.

أحنى رأسه يضع شفثيه على أذنها، فتصلب
جسمها، ثم همس بسخرية رقيقة مغرية:
"كيف تطيقين إذن أن ألمسك؟"

قفزت جانبا مبتعدة عنه، شاعرة نحو نفسها
بالكراهية ونحوه بازدياء لا تكاد تستطيع معه
مواجهة ما يضطرب في داخلها.

لم يقل لويس شيئاً، لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك . . إذ قابلها بإذلال وفتح الباب وتواري خلفه.

وإذ تركها وحدها انهارت بضعف على أقرب كرسي، وسرعان ما شعرت بشيء تحتها، فسحبت يدها تسحب محفظتها.

وقفت ثم سارت نحو السرير حيث القى لويس سترته التي ما إن أمسكت بها حتى

أحاطت بها رائحته، كانت عيناها جامدتين
ولكن حواسها الأخرى مازالت تعمل بنشاط،
فلمسها هذه السترة كلمسها للويس نفسه،
وكشمها إياه وشعورها وحاجتها إليه . .
حاجتها إليه . . كانت السترة مبللة ولهذا
على ما يبدو استبدلها لويس . . كانت رطبة
حول الكتفين لأنه وضعها حول كتفها
المبللتين.

صدرت عنها آهة هي، من الكآبة واليأس
بحيث شعرت بالسرور لعدم وجود أحد
يسمعا، سبع سنوات وهي تحبه ، , سبع
سنوات وهي تكرهه لكنه سبع ثوان حتى نبدأ
بالقتال في معركة خاسرة ضد المشاعر التي
يوقظها في نفسها.

كان ذلك فظيعة، كمواجهته لأكثر أسراها
إظلاماً، ذلك إن الكراهية هي الجانب الآخر

من الحب،، أليس هذا مايقوله الرومنطقيون؟

ماذا بقي لديها بعد هذا ليعزيها؟

تساءلت وهي تلقي الأشياء الثلاثة من يدها

على السرير وتدير ظهرها لها.. إنها لا

تعلم.. ولا تظن أنها تريد أن تعلم.

الملابس التي أخبرها أنها ستجدها في الخزانة،

كانت ملابسها هي، وذلك أظهر مقدار

الثقة التي وضعها في هذا العمل، كان شديد

الثقة في نفسه ومتأكدًا أنه سينال مراده

عاجلاً أم آجلاً.

والحقيقة أن كل ما أحضرته معها من مارييا

أصبح هنا، في هذه الخزانة .. وسرعان

ما استولى القلق عليها .

أسرعت في تغيير ملابسها، وأمضت أقل من

خمس دقائق في حمام حسن التجهيز، قبل أن

تتبرج وتختار ما عليها أن ترتديه.

عاد لويس وهي تلبس حذاءً عالياً، كانت
خصلات شعرها الموازية لذقنها ناعمة لامعة،
وزينة وجهها كاملة وثوبها الحريري قرمزي
اللون.

هذه البساطة المثيرة التي أسبغها طراز الثوب
عليها، جعلت عينا لويس تلمعان تحت
أهدابه الكثيفة.

— أنا معجب بك، لم أظن أن بإمكانك
الانتهاء في هذا الوقت القصير.

لكنها نظرت إليه ببرودة: " ألم يستيقظ أبي

بعد "

أجب ببطء متكاسلا: "إنه منتصف الليل
تقريبا كارولين، وهو الوقت الذي ينام الناس

فيه دون أن يفكروا في الاستيقاظ "

- كما لا يخرجون من الحفلة في مثل هذا

الوقت الباكر.

ابتسم لتعنيفها المقتضب وقال: "أنا بومة

أسهر الليل بطوله "

- وكذلك هو، أين هو الآن؟

- في المطبخ يلعب الورق مع الطاهي.

وعندما رأى ذعرها، قال غاضبا: "إنها مزحة

بحق الله"

بعض المزاح مؤلم، تقدم لويس نحوها يملك

بيدها: "إنه في الصالون الرئيسي يستمتع

بصحبة الضيوف، هل لك أن تبتهجي"

تبتهج؟ سيطر عليها الغضب. كانت متعبة،
منهكة فقد عاشت اليوم أسوأ ساعات
حياتها. فكيف يطلب منها أن تبتهج.
همست: "لو كان لدي مثقب أوراق يستحق
الرمي، لرشقتك به"

تنهد لويس تنهيدة عميقة وجذبها إليه، فبدا
عليها الانزعاج لسمحاها له بضمها إلى
صدره. وقال لها: "إنه على خير مايرام"

وسيبقى كذلك ما دمت أرحاه، أظنك فهمت

ذلك"

—إنه مدمن لويس يالويس، والمدمنون

لايشفون بين ليلة وضحاها.

قال بهدوء: "أعلم هذا"

قالت بحدة: "هل يعلم بهذه الاتفاقية التي

عقدناها لتونا؟"

—يعلم أنك هنا معي، وهذا كل شيء تقريبا.

وهذا يعني أنه مازال أمامها مشكلة عليها
مواجهتها، فكرت في ذلك بقلب مثقل، ثم
خرجت من بين ذراعيه، فضاقت عيناه لأنه
رأى جانب وجهها المرهق، لكنه لم يحاول
تأخيرها، وبدلاً من ذلك عاد إلى الباب حيث
وقف عنده ينتظر منها أن توافيه. وانضكت
هي إليه دون أن تنطق بكلمة وعندما سارا
إلى الصالون الرئيسي، جنباً إلى جنب شعرت
بالتوتر.

-هل لي أن أعرف هؤلاء الناس قبل أن

أقابلهم؟

سألته ذلك دون أمل كبير في تلقي الجواب.

-هل أنت متوترة الأعصاب؟

-نعم

-لا حاجة بك لذلك إذن, لأنك ستقابلين

أسرتي وليس عصابة مسلحة.

أسرته؟ ونظرت إليه بعدم تصديق: "لكنك

أخبرتني مرة أن لا أسرة لديك"

ابتسم ابتسامته الغريبة تلك وقال: "هذا

صحيح"

اقشعر جسدها وهي ترى وميض عينيه

المفاجئ فقالت ببطء: "أراك غامضا كالعادة"

أجاب بابتسامة مختلفة: "إنه سلاحى السري"

لكنه ليس سلاحه الوحيد. فكرت في ذلك

ويده حول خصرها بينما يده الأخرى على

مقبض الباب. وكان للمستته سريان الكهرباء

في كيانها فأجفلت.

جعلته ردة فعلها هذه يتوقف وجعلت ملامحه
تقسو, وقال متجههم الوجه يقول: "تذكري
من أنت وماذا تعنين لي عندما ندخل إليهم،
من المهم جداً لي أن توحى بأنك عروس
سعيدة لا عروس بالإكراه"

بقيت صامته دون أن تنظر إليه. لكنها رفعت
رأسها طائعة ورقت أساريرها عندما فتح باب
الصالون الرئيسي.

أول ماتحولت عيناها إليه هو مائدة القمار
الخضراء، فشعرت بالراحة لأنها رأتها الآن
مغطاة بغطاء أبيض ووُضع عليها شراب الورد
المثلج ووقف مدير اللعب الذي كان سابقا
يرص الفيشات، يلمع الأكواب ببراعة اي
نادل.

ثم نظرت إلى الغرفة التي تعج بالضيوف، فمن
رأت فيهم وجوها غائمة بدوا الآن أشخاصاً
أسبانيين.

أصالة وخطرسة، هاتان هما الصفتان

الساخرتان اللتان تبادرتا إلى ذهنها وهي ترى

الطريقة الذي ينظرون فيها إليها، وفكرت إن

كانت صلة قرابة تربط هؤلاء بلويس؟ إن

كان الأمر كذلك فهو إذن من سلالة نادرة

للغاية. رأت بعضهم شاباً، وبعضهم عجوزاً،

بعضهم فضولياً بشكل آخر، هو أمواج

النفور والكراهية التي فاضت منهم، مع أنها

أحست بهم يحاولون جهدهم لإخائفها.

أدرکت أنهم لا یجبون لو یس . . قد یكونون

هنا فی بیتہ یستمعون بضیافته، لكنهم

یکرہونه لسبب ما.

وهذا ما زاد الوضع تشوشا.

ثم رأت أخیرا أباهما، واقفا بعيداً قليلاً عن

الآخرین ولا یبدو علیه السرور أبداً، كان ینظر

أمامه عاقدا الجبین ولم یزعج نفسه بالنظر

إلیهما، كما فعل الجميع عندما انفتح الباب.

علمت مايفكر فيه، إنه يفكر كيف يمكنه
اللعب وكل هؤلاء حوله، فهذه هي طريقة
تفكيره عندما يستولي عليه جنونه.

حسناً، إنه على وشك أن يتلقى مفاجأة سيئة
نوعاً ما! لقد تخلى عنها هذه الليلة، تخلى
عنها كلياً بحيث صعب عليها الصبح عنه
هذه المرة.

هذه المرة؟ كم عدد (هذه المرات) التي مرت
بهما في السنوات العشر الماضية؟
وكم عدد تلك التي ستحدث مستقبلا؟
عددها سيكون كبيرا على الرغم من وعود
لويس.

ثم رأَت امرأة بدينة نوعا ما، ترتدي ثوبا
ملوكيا من الحرير القرمزي اللون، وقد انبرت
لتخترق هذا الصمت بتعنيف متغطرس:
"لويس، أنا أكبر من أن أحضر حفلات

ساهرة، هل رأيت الساعة؟ هل أدركت مدى
فظاظتك وأنت تجمعنا هنا ثم تتركنا ننتظر
مسرارك؟"

تمتم لويس وكأنه لم يلحظ الازدراء في لهجة
المرأة المسنة: "المعدرة عمتي "بياتريس" لكنني
كنت واثقا من أنك ماكنتي لترغبي في تفويت
هذه الحفلة الخاصة بعدما تعرفين السبب"
سألته بفضول: " سبب . . أي سبب؟"

أجابها بلهجة ذات معنى، مدغدا حواسهم
بكلمات مختارة: "إنه احتفال، احتفال لحسن

حظي"

في اللحظة التي قال فيها هذا، شعرت
كارولين مرة أخرى، بذلك الضيق في
صدرها، بسبب توقع ماسيحدث، نزلت يد
لويس من ظهرها إلى خصرها، ولكنها لم
تعرف ما إذا كان هذا دليلاً على التحذير أم
الدعم، وفي هذه الأثناء ارتفع رأس أبيها
وتسمرت عيناه بجدة على ابنتيه.

كان لويس يقل بجانبها: "أحضرتكم جميعاً إلى
هما حسب تقاليد أسرة فازكيز لأعرفكم إلى
الآنسة كارولين نيوبري، السيدة التي وعدتني
بأن تكون عروسي . . و"الكونتيسة"
العتيدة.."

بعد هذا البيان، صعب القول من هو الأكثر
ذهولاً، أسرته أم كارولين ذاتها،, إذا كانت
تترنح وقد فقدت اتزانها لسنعاها هذا الخبر:

"كونتيسة" لويس العتيذة، يعني أنه هو

"كونت"

خفق قلبها بعنف وعمت الصدمة كيانها،
وعندما رفعت رأسها ونظرت، لم ترى سوى
وجوهاً مطأطأة الهامات، كان هذا فظيماً،
الوضع كله كان فظيماً للغاية، ليس لها بل
للويس، أليس عند أي واحد من هؤلاء القوم
لكمة جميلة يقولها له؟ ألا يمكن لهم، أن
يتظاهروا على الأقل، بالسرور لهذا الخبر؟

وهناك بعيداً عن الآخرين، كان أبوها جامد
الوجه . . فقد فهم بسرعة ما حدث، فهو
وإن كان غارقاً في ذاته معظم الوقت ليس
غيباً أبداً، علم أن إعلان لويس عن زواجه
بابنته، يعني أنها باعت نفسها له بثمان هو
ديون أبيها.

- لا .

رأت فمه يشكل كلمة الاستنكار هذه،
فخنقتها العبرة، فجأة انبرى صوت واحد
مخترقا هذا الصمت،
وتقدمت امرأة بسن أبيها تقريبا: "تهاني،
ظنناك أحضرتنا جميعاً إلى هنا الليلة لأنك
تريد أن تتخلى عن لقبك وتعود إلى أميركا!"

بل كانوا يأملون ذلك، هذا ما فكرت فيه
كارولين في ذهنها وهي تلاحظ تغير جو
الغرفة من العداء الخفي إلى البهجة

المصطنعة، وبعد ذلك، أغرقتهما أمواج
التهاني ووجدت نفسها تجاهد في الصمود أما
الأسماء والمعانقات، ودار النادل ، مدير
اللعب سابقاً، يناول أكواب شراب الورد لمن
يرغب في المشاركة في التهنئة.
بقي والد كارولين بعيداً عن هذا كله.

كان يحدق فيها وكأنما زالت عن عينيه غشاوة
فأصبح يرى بوضوح للمرة الأولى منذ
سنوات على ما يبدو . . أخافها ذلك . .

أخافتها تلك النظرة، وانقلاب لون وجهه إلى
اللون الأغبر ثانية بعد أخرى.

—لويس . . أبي.

تمت بذلك وهاتف يهتف بها أن شيئاً رهيباً
على وشك الحدوث، ولكن عندما انتبه
لويس إليها، تملكها الرعب وهي ترى أصابع
أبيها تفلت كوب الشراب ويسقط على
السجادة.

—لا، ياأبي، لا.

صرخت بذلك وهي ترى وجه أبيها يتجدد
ألمًا، بينما ارتفعت يده تثبت بصدرة قبل
أن يبدأ بالانهيار.

** ** * * * * *

الفصل الخامس: أسرار تنكشف

بعد ذلك أصبح كل شيء غائمًا مشوشًا
باردًا، إذ قفز لويس من جانبها ليمسك
بأبيها قبل أن يصل إلى الأرض، وهذا ما فعله

النادل، هو أيضاً، فتمكنا عند ذلك من
تمديده على أريكة، أما كارولين فوقفت
ضائعة في ضباب الصدمة.

هذا ما فعلته أنا.. كانت تفكر في هذا مرة بعد
أخرى، لقد قتلت أبي لتوي، لم تستطع أن
تتحرك ولكن شخصا آخر، شخصا غريبا
رأته أثناء فوضى التهاني تقدم نحو الأريكة
بسرعة ثم ركع على الأرض يفحص أباها.

أوحى إليها إذعان لويس له على الفور،
بشيء لم تستطع فهمه حالياً، لكنها أخذت
تنظر وكأنما من وراء زجاج، وأصابع الرجل
الطويله تفحص النبض في عنق أبيها قبل أن
يبدأ في حل ربطة عنقه بسرعة ويفتح أزرار
قميصه.

قال أمراً: "فيتو .. أحضر حقيبتى من السيارة
أرجوك"

أسرع الرجل الذي قفز قبل قليل مع لويس
لمساعدة أبيها، مغادراً الغرفة ، ثم أحاطت
ذراع بكتفي كارولين بعناية.

كانت تلك المرأة صاحبة الثوب القرمزي التي
تمتت "اهدئي زوجي طيب وسيعرف ما
سيفعل"

—إنه .. إنه يعاني من .. من الذبحة الصدرية.

خرجت هذه الكلمات المرتجفة من حلق

كارولين الأشل..

-عليه .. أن .. يأخذ حبوباً هي .. هي في

جيبه .. أبي!

صرخت بذلك حين تحررت أخيراً من شلل

صوتها ثم حاولت الانطلاق إلى أبيها لكن

عمة لويس أمسكت بها.

قالت تنصحها: "دعي (فيديل) يقوم بعمله

يا طفلي"

ثم نقلت ما أنبأتها به كارولين إلى زوجها
الطبيب.

استدار رأس لويس بعنف، وعيناه السوداوان
تلسعان كارولين وكأنها أفشت سراً شيطانيا
أرادت من ورائه أن تجرحه. لم تفهم لانظرة
الاتهام تلك ولا الغضب البالغ الذي رافقها،
كان شاحب الوجه شحوبا هو أشبه بشحوب
أبيها المخيف الأغر.

وجد الطبيب علبة الحبوب فأخذ يقرأ بسرعة
الوصفة المصحوبة بها، وفي هذه اللحظة
وصلت حقيبتة فطلب من لويس الانتباه،
طالباً منه أن يخلع ستره أبيها ثم يرفع

قميصه ليضع جهاز ضغط الدم حول الذراع،
وأثناء قيام لويس بذلك، كان الطبيب يصغي
إلى دقات قلب أبيها.

ربما كان ذلك أمراً عادياً له، يمارسه بكفاءة
لكنه بالنسبة إلى كارولين كان هو الأسوأ،
أسوأ شيء مر بها في حياتها، إنها
السبب.. وشعرت بالذنب، فعلت به هذا
لأنها لم تصر بأن تخبره هي بالأمر على انفراد
وبطريقتها الخاصة الرقيقة.

لكنها لم تهتم بالأمر، إلا بعد أن رأت وجهه
يمتقع، كانت غاضبة منه، والمرارة تملأ قلبها

والواقع أنها أرادت أن تصدمه ليري بالضبط

مأجبرها على فعله!

ولكن ما جعلته يواجهه كان أهم بكثير مما

فعله هو بها.

تمت عمه لويس: "لقد ابتداءً يستفيق"

كان الطبيب يتحدث إليه بهدوء ولويس
جالس بجانبه وقد اكتسى وجهه الأسمر بقناع

من الصوان لم تره كارولين عليه من قبل ،
ووقف الآخرون عاجزين .

رأت إحدى يدي أبيها تتحرك، مرتفعة لتغطي
عينيه، فبدأ ضعيفاً مسناً عاجزاً ممدداً هناك،
وإذ هفا قلبها إليه تحررت من الذراع الحانية
حولها وذهبت إليه .

—أبي، وشهقت .

شعرت بلويس ينظر إليها، ثم يقف متجهاً
وهو يفسح لها الطريق لتأخذ مكانه للجلوس
بجانب عمته، مدت يدها تمسك بيد أبيها
المرتجفة الباردة كالثلج، ثم تزيحها برفق عن
عينيه، وهي تهمس بصوت مختنق: "أنا جدا
آسفة"

فأجاب بضعف: "كانت صدمة ليس إلا، لم
أكن أتوقعها وقد نسيت أن آخذ حبة الدواء

هذا النهاؤ، إنه ذنبي، سأصبح بخير بعد

دقائق"

انتظر الطبيب أن تؤتي حبة الدواء مفعولها
قبل أن يعود لأخذ الضغط، ونظرت إليه
كارولين متسائلة بلهفة فأجابها بإيماءة خفيفة،
فتدفقت دموعها ارتياحاً.

رأى أبوها دموعها فبدا الضعف على وجهه
الأغبر وتأوه قائلاً: "لا تبكي لأجلي،

يا كارولين فلدي ما يكفيني الآن دون إضافة
دموعك"

فقلت بصوت مختنق: "ولكن كل ذلك ذنبي،
كان علي أن أنبهك إلى أمرنا أنا ولويس،
كان ذلك.."

فقاطعها لويس الذي انتبه إلى وجود
المستمعين من حولهم فهو يريد الحفاظ على
سرية اتفاقيته اللعينة من خطر انكشافها،

وهكذا قاطعها متجهما: "أردنا أن يكون الخبر

مفاجأة سارة للجميع"

بدا أن أباهما فهم ذلك واقتنع به، إذ ارتفعت

عيناه إلى لويس متمتماً بعبوس: "إننا بحاجة

إلى التحدث"

تدخل الطبيب قائلاً: "ولكن ليس الليلة،

لأنك الليلة ستبيت ضيفاً في مشفائي"

وما أن قال ذلك، حتى تصاعد صوت سيارة
الإسعاف في الخارج، فجمد دم كارولين
وتشبت بيد أبيها، ولكن ما أقلقها حقاً هو
أن أباهما لم يصدر عنه أي احتجاج، فتح
عينيه قائلاً: "لا تخافي هكذا، فأنا أخطط لكي
أبقى شوكة في خاصرتك لمدة طويلة جداً"
وابتسم لها بوهن.
—هل هذا وعد؟

قالت ذلك جادة بشكل مؤلم جعل
الموجودين يخفضون أبصارهم.

قال بأسى: "وعد"

ثم نظر إلى لويس الذي كان واقفاً خلف
كارولين، وقال له ببطء: "لم يكن تجاوبها
بالشكل الذي كنت تريده، كما أظن"

فوافق لويس على كلامه: "لا"

- ألم تعرف هي بالأمر بعد؟

قالت كارولين بحدة: "أعرف ماذا؟"

لكن أباهما أغمض عينيه ثانياً، وتوقف عن كل كلام عندما أخذ الطبيب يستمع إلى ضغط الدم. عند ذلك دخل ممرضان الغرفة، فأوقف لويس كارولين برفق مفسحاً مجالاً لهما للعمل. ولكن في اللحظة التي ابتداء فيها الرجلان بنقل والدها إلى المحفة، عادت هي

إلى جانبه، أما سائر الناس الموجودين فقد
تبخروا في الأثر، فلا هي رأيهم ولا أرادت أن
تراهم.

توجهت سيارة الإسعاف إلى المستشفى بهدوء
بالغ، وصحبت كارولين أباهما في السيارة بينما
تبعهما لويس بسيارته الخاصة. في المستشفى
أجريت فحوص عدة لأبيها، قبل أن
يطمئنهما زوج عمه لويس الطبيب، إلى أن
الأمر لم يكن ذبحة قلبية قوية.

-ولكن ضغط الدم مازال مرتفعاً قليلاً، ولهذا
سأبقيه هنا الليلة تحت الرقابة.

استندت كارولين بضعف إلى الحائط خلفها
ولكن حين حاول لويس أن يلمسها، دفعته
عنها فجأ، قائلة: "أنا بخير"
قال بخشونة: "لا يبدو عليك ذلك"

فتجاهلته ناظرة إلى الطبيب تسأله: "هل

يمكنني رؤيته الآن؟"

-لعدة لحظات فقط، فقد أعطي مخدراً ولهذا

لن يعلم بوجودك.

مكثا عدة لحظات لأنه كان نائماً كما قال

الطبيب، لكن لونه كان أفضل كثيراً، وقفت

كاورلين إلى جانب سريره ومررت يدها على

يده برفق، أما لويس فأخذ ينظر إليه بصمت

من مكانه، ثم تركت لويس يخرجها من المكان
لأنها تعلم أن ليس بإمكانها القيام بشيء من
أجله.

لم يتكلما أثناء سيرهما في المستشفى، لكنهما
على كل حال لم يتبادلا كلمة واحدة منذ بدأ
ذلك الهلع في غرفة جلوس لويس.

عندما وصلا إلى باب الخروج وجدا زوج عمّة
لويس ينتظرهما.

نظر جاداً إليهما، ثم قال: "سيشفى.. لم يكن
الأمر خطراً حقاً"

-نعم، أعلم هذا..

أومأت كارولين قائلة ذلك وهي تغالب
دموعها، ثم اندفعت فجأة تعانق الطبيب
هامسة: "شكراً لأنك كنت هناك"

قال: "كان ذلك سروراً لي"

ولكن نظراته ظلت مركزة على وجهها المنهك
البالغ الشحوب، ثم قال للويس: "خذعا إلى
البيت، واجعلها تنام ولا تسمح لها بالقدوم
إلى هنا قبل الظهر على الأقل"

غادرا بعد ذلك مباشرة، وكانت سيارته
السوداء تنتظر في الموقف، وبعد اكمان إليها
في المقعد الأمامي جلس وراء المقود.

كان وجهه جامد التعابير يقود السيارة دون
أن يتكلم، كان كل شيء مظلماً هادئاً، وحتى
اليوم الذي يجب لويس تشبيه نفسه به، لم
يكن موجوداً.

– أريد العودة إلى الفندق.

فلم تتلق جواباً، أدارت رأسها لتنظر إليه،
فلم تر سوى جانب وجهه الجامد "لويس.."
انعطف خارجاً من الطريق الرئيسي عائداً إلى
"برتو بانوس"، وراحت تنظر إلى أصابعه

الطويلة السمراء المشابهة لأصابع المشعوذين
الحاذقة, وجدت نفسها تفكر في ذلك بغباء,
فأدركت أنها إنما تشغل ذهننا بهذه
الملاحظات لأنها تريد الدخول معه في
مشاحنة جديدة.

لكنها لم تستطع أن تترك الموضوع يمر: "لا
أريد أن أواجه كل أولئك المدعوين"

فقرر أن يجيئها: "لقد ذهبوا إلى بيوتهم"

كان صوته هادئاً وهو يضيف قائلاً: "أظنك
توافقيني على أن الحفلة انتهت"

قالت بصوت عنيف: "وهل بدأت قط؟"

هذا إذا كان اسم (حفلة) يناسب ما أراد
لويس إقامته الليلة، الحقيقة أن تصرفات هذا
الرجل حيرتها، وأسرته أيضاً، في لحظة بدا
عليهم العداء والإستياء، وفي لحظة أخرى

البهجة البالغة وقالت تتابع أفكارها بصوت

مرتفع: "إنهم لا يحبونك"

أجاب بهدوء: "لم يحظوا بوقت كافٍ ليحددوا

مشاعرهم نحوي"

قطبت جبينها: "مامعنى هذا؟"

—معناه أنني دخلت حياتهم منذ أشهر قليلة

فقط. منذ مات أبي في الواقع، وترك وصية

يقول فيها إنه ترك أملاكه وأمواله ولقبه لابنه
الذي أنكروا وجوده.

مضت لحظة أخذت تستوعب فيها هذه
المعلومات لأنها كانت تفسر أموراً كثيرة تتعلق
بلويس، بقيت غامضة حتى الآن لها، سألته
برقة: "هل عرفته؟"

— نعم.

— دوماً؟

أجاب: "تقريباً"

–لكنه لم يعترف بك إلا حديثاً

قاد لويس السيارة من بوابة الفيلا إلى الفناء الخارجي، وعندما أوقف المحرك، لم يحاول أي منهما الخروج من السيارة، كارولين، لأنها أحست أن هناك المزيد من المعلومات ولويس لأنه يريد أن يقرر مقدار ما يريد أن يبلغها به، قال: "حاول ذلك مرة منذ سبع سنوات، لكن الأمر لم يتم"

سبع سنوات. سبع وتوقفت أنفاس كارولين

فجأة، وهمست: "لماذا؟"

التفت لويس ينظر إلى وجهها الشاحب الذي

كان متعباً فأصبح يقظاً واعياً متزناً، فقد

علمت دون أدنى شك، أنها جزء من ماضيه

منذ سبع سنوات، وحول نظراته عنها، وهو

يقول: "لم يكن هو من أريد"

ثم فتح سيارته وخرج منها، تاركاً كارولين
جالسة مكانها تستخلص ما تحب من ذلك
التصريح.

هل كان يتحدث عنها؟ هل كان يتحدث
عنهما، هما الاثنان؟ هل يقصد أنه كان هنا
في ماريبا منذ سبعة أعوام ليجتمع بأبيه،
وبدلاً من ذلك تورط مع فتاة انكليزية وأبيها
المقامر؟

فتح لويس بابها وانحنى يمسك بذراعها
يساعدها على النزول جاءت إلى جانبه وقد
عاد التوتر، والارتجاف يستوليان عليه، فهي
لا تجرؤ على استخلاص النتيجة المنطقية من
وراء أسئلتها.

أكان يقصدها بقوله؟ أهي من كان يريد منذ
سبع سنوات؟ لا، لو كان ذلك لما سلب
والدها أمواله على مائدة القمار.

قال لها بخشونة: "هيا بنا، لقد عانيت الكفاية

في ليلة واحدة"

نعم، الحق معه، لقد عانيت الكفاية، وافقته

على ذلك وهي تشعر برأسها ينبض الماء، لم

تشأ أن تفكر أكثر من ذلك، لم تشأ أن تفعل

شيئاً عدا التكوم في أقرب سرير ثم الاستغراق

في النوم.

كان المنزل غارقا في الظلام، فأشعل لويس
المصابيح في الردهة ثم سار أمامها إلى غرفة
النوم.

وفي الداخل، وجدت أنه لم يبق لديها من
الطاقة، ما تمكن معه من خلع ملابسها
وأخذ هو ينظر إليها وهي تهبط جالسة على
حافة السرير، ثم تغطي عينيها المتعبتين. وبعد
لحظات نهض يفتح الخزان، ثم سمعته يتوجه
نحوها قبل أن تشعر بشيء حريري يستقر في
حجرها.

رفعت يدها عن عينيها فرأت قميص نومها
الرمادي، وبرودة ودون اعتبار لتعبها جذبها
لتقف وشدها نحو الحمام: "اغتسلي وغيري
ملابسك"

خرجت من الحمام بعد ذلك فلم تجد لويس
في الغرفة ورأت أغطية السرير مثنية جانباً
لتنام فيه ففعلت ذلك دون تردد وماهي إلا
لحظات حتى تهاوت إلى مهاوي النسيان.

الفصل السادس : ثأر وثرء

استيقطت كارولين لتجد نفسها غارقة في ضوء النهار، كانت نائمة على بطنها بين بحر من الملاءات البيضاء.

أخذ قلبها يخفق، لقد كانت ذكرى الساعات الأربع والعشرين الماضية كافية لتجعلها

جامدة مغمضة العينين بشدة وهي تحاول
استرجاع ما حدث البارحة.

كان يوم البارحة مخيفاً، لكنها ما زالت تشعر
بذلك الخفقان الرقيق العذب الذي رافق
عناقهما بالأمس قرب المسبح.

قالت بصوت خافت: "آه .. لويس!"
ثم تمننت لو أنها لم تفعل، فحتى الهمس باسمه
يثير مشاعرهما.

حدثت نفسها بأن عليها أن تكرهه، تكرهه
لما فعله بها مرة أخرى، لا عجب أن تشعر
بالخوف من ذلك كله.

عند ذلك سمعت طرقا خفيفا على باب
الغرفة فقفزت جالسة في السرير عندما انفتح
الباب ودخلت امرأة شابة تحمل صينية
الفتور.

تمت بأدب: "صباح الخير سنيوريتا، طلب
مني السيد لويس ان أوقفك في الوقت
المناسب لتقابليه في المستشفى بعد الظهر"

كانت على وشك القفز من الفراش، عندما
أضافت الخادمة: "والسيد يقول إن أباك
بخير، وسيخرج من المستشفى هذا النهار"

وعندما جلست كارولين، لتستوعب هذا
الخبر السار، وضعت الفتاة الصينية على

منضدة صغيرة، ثم استدارت تسألها إن كانت
تريد شيئاً آخر، فأجابت بأدب: "أه، لا
شكراً"

ولكن ما إن سارت الخادمة نحو الباب، حتى
خطرت لها فكرة مفاجئة.

- هل ترك السيد عنوان المستشفى؟ لقد
نسيت كتابته أثناء الذعر الذي أصابني الليلة
الماضية.

- لقد وضع السيد "مارتيني" في خدمتك. وهو
سيعرف إلى أين يقلك.

ثم خرجت الخادمة تاركة كارولين تتساءل
عمن سيكون السيد "مارتيني" الذي تظن
الخادمة أنها تعرفه.

وسرعان ما عرفت ذلك بعد ساعة عندما
ارتدت بنطلونا ناعم النسيج وكنزة وردية
اللون، اجتازت الفناء الخارجي، فوجدت أنه

فيتو، النادل ومدير الألعاب، بملابس السائق
الآن،

واقفا ينتظرها قرب السيارة السوداء. حياها
بأدب بلهجته الأميركية: "صباح الخير آنسة
نيوبري"

من هو بالضبط؟ أخذت تتساءل وهي تنظر
إليه يفتح لها باب السيارة الخلفي. هل هو

حارس لويس الشخصي، مساعدة في كل

الأمر؟ صديقه؟

أن يتخذ لويس صديقا ذكيا يستخدمه في

كل الأمور، لفكرة تدعو إلى الضحك

فلويس ليس من هذا النوع. بل هو من النوع

الذي يواجه الحياة وحده ولا يسلم قيادة

لأحد ولا يأمن أي إنسان.

إنه ممن لا يكشف عن مشاعره الداخلية في
كافة الظروف ولم يحدث قط أن عبر لها عن
مشاعره.

وهكذا، لا يمكن أن يكون السيد "مارتيني"
صديق لويس، لأن رجلا مثل لويس يعتبر
الصديق نقطة ضعف فيه.

والظاهر أن السيد "مارتيني" لا يبدو صديقا
لأحد/ فكرت في ذلك متأملة وهي تنظر إليه
وهو يستقر بجسمه الضخم خلف عجلة

القيادة، إنه بارد الوجه صلب الجسم، فيه
شيء من العنف والقسوة.

تواترت كل هذه الأفكار إلى ذهنها فقط أثناء
فترة تحركه بالسيارة بعدما أسدل الفاصل
الزجاجي بينهما.

كانت غرفة والدها في الطابق الثاني، ازداد
توترها وهي تقترب من مواجهته بالحقيقة، لم
يكن ثمة فائدة من محاولة الادعاء.

إنه يعرف الكثير، يعرفها، يعرف لويس، كما
يعرف نفسه، ومعرفته تلك بالفرقاء كلهم هي
التي أدخلته إلى هنا، ومالا تريده هو المجازفة
بتكرار الشيء نفسه مرة أخرى، عندما
يسمع القصة الكاملة.

اقتربت من غرفته. وكان الباب مفتوحا، وبدا
خلفه كل شيء نظيفا أنيقا، رأت لويس أولا،
واقفا ينظر من النافذة، وبدا تحت أشعة
الشمس التي تحيط به أكبر حجما ومهابة.

إنه قوة تؤخذ في الحسبان! وتملكتها رجفة.
وقفت لحظة تشجع نفسها على الدخول.

سمعها فالتفت، ثم جمد في مكانه، ناظرا إلى
وجهها وهي تنظر إلى السرير، ثم تقطب
جبينها لأنها رآته خاليا. كان للغرفة حمامها
الخاص، فنظرت إلى ناحيته فإذا هو خالٍ
أيضا، وأخيرا.. حولت عينيها إليه، تسأله
يخوف: "أين هو؟"

قال: "لابأس، لم ينتكس"

ارتجف فمها ارتياحا: "أين هو إذن؟"

—لويس؟

هتفت بذلك عندما لم يجب سؤالها.

أجابها بهدوء: "إنه ليس هنا"

ازدادت تقطياً: "ليس هنا؟ ماذا يعني؟ أتعني
أنه ذهب لإجراء مزيد من الفحوصات أو
ماشابه؟"

هز رأسه وهو يقترب منها خطوتين، أما هي
فقاومت الرغبة في التراجع، إن تحول الشمس
عن وجهه، هو ما أخفى تعابير ملامحه،
وشعورها المفاجئ بقربه منها هو ما أربها.

كانت ملابسها تشبه ملابسها، فكل واحد
منهما ارتدى بنظرونهما بسيطاً وقميصاً عادياً،
ولكن ليست الملابس في الواقع هي التي
تصنع الرجل وليست الملابس الثمينة والشراء
الفاحش هما ما جعلها تتفوق على ذاتها في
مظهر الدفاع عن النفس.

إنها ضعيفة أمامه، وأخيراً قال بشيء من
الإكراه: "لقد رحل إلى وطنه، إلى انكلترا"
فأخذت تكرر ببلاهة: "الوطن؟ انكلترا؟"

وصرخت: "ولكن هذا غير ممكن؟ صحته
لا تشمل السفر. أريد أن أراه!"

ازداد لويس اقتراباً منها بينما كانت تدور
بعينها في أنحاء الغرفة تتفحصها مرة أخرى،
وكأنها تتوقع أن يظهر بمعجزة ليثبت خطأ
لويس.

لكن أباهما لم يظهر، وعندما نظرت مجدداً إلى
لويس، بدأت الشكوك تساورها في أنه خطط
لفصل الأب عن الابنة.

وقالت بصوت خافت: "أنت الذي جعلته
يرحل"

أجاب برزانة: "لقد سافر لإصلاح بيته"

لكنها هزت رأسها: "أنت أجبرته على الرحيل
لئلا نجتّمه ونفسد خطتك بعثورنا على حل
بديل لمشاكلنا"

-وهل هنالك حل بديل؟

كان سؤالاً بنعومة الحرير وخزها كلسعة ذيل
العقرب السامة.

فسألته وهي تسمع دقات قلبها العنيفة: "لما
ذهب إذن؟"

فقال بجرأة: "الشعور بالذنب، لم يستطع أن
يواجهك، وهكذا رحل قبل حضورك"

يعني أنه هجرها، يعني أنه هرب، يعني أنه
تركها هنا لتواجه المشاكل وحدها!

كان هذا أكثر مما تستطيع احتمالها،
واستدارت لتخرج، ولكن ليس بالسرعة
الكافية لاختفاء دموعها التي تدفقت. مد يده

يمسك بكتفها يمنعها من الذهاب، متمتماً
بصوت أجش: "حاوي أن تفهمي، لقد رأى
نفسه الليلة الماضية ربما للمرة الأولى، رأى
كيف دمر حياته، وأتعس حياتك!"

فقالت ساخرة: "وهكذا هرب، ما أشجعه!"

— إنه الحل الأفضل، يا كارولين، أراد أن
يصلح بيته، لاتدينه لأنه رغب في المحاولة
قبل أن يواجهك مرة أخرى.

- في هذه الحالة، فليشبق نفسه لأجل ديونه
التعسة، وأنت ابحت عن امرأة أخرى
تتزوجك يالويس، لأنني سأخرج نفسي الآن
من كل هذا!

وحاولت غاضبة، أن تنفض يده عن كتفها،
لكن تلك اليد استحالت إلى فولاذ.

-مازلت أمدته بالمال ليصلح بيته.

أطلقت كارولين زفرة غضب بالغ، ثم

همست: "وهكذا أنا، كما يبدو"

—هذا ما اتفقنا عليه.

وتصورت في ذهنها أباهما يهرب كأرنب

مدعور، بينما لويس واقف يشهد رحيله من

موقفه المتغطرس في وكر النسر ذاك، سعيدا

لرؤية وجبة شهية تذهب لأن لديه أخرى بين
يديه.

ثم ارتجفت ووقفت تفكر، فهي لاتعرف كيف
ستصف نفسها، ولكن صورة الحمل الوديع
الذي يُقاد إلى الذبح ملأت رأسها فالتفت
تواجهه: "ألا تخسر أبدا، يالويس؟"

فبدت على فمه ابتسامة ملتوية وأجاب
بصدق: "نادرا جدا"

أومأت برأسها وتركت الأمر عند هذا الحد،
ماذا بقي لديها لتقول؟ إنها هنا لأن لويس
أرادها هنا، وذهب أبوها لأن لويس أراد منه
أن يذهب.

—ماذا سيحدث الآن، إذن؟

سألته هذا أخيراً، عالمة بأنه سيفهم أنها عادت
إلى الطريق السوي، بحسب رغبته.

–الآن؟

قال ذلك بفضول، وعيناه السوداوان
مسمرتان على عينيها البنفسجيتين الرائعتي
الجمال والباردتين، في هذا الوجه المماثل لهما
جمالا والبارد هو أيضا، ثم قال لاويا
شفتيه: "هذا ماسنفعله الآن، وهنا"

ثم أمسك بها وجذبها إليه معانقاً إياها عناقاً
حاراً.

لكنها لم تتوقع هذا، وسرت النيران في كيانها
قبل أن تجد الإرادة لتخلص نفسها منه،
تركها لويس ولكنه ماتركها إلا لأنه هو أراد
ذلك، كانت واثقة من هذا.

قال والبسمة الملتوية ماتزال على ذلك الفم
المقبت: "الآن، أدفأك عناقي جيداً"

أرادت أن تضربه وأدرك هو ذلك فنظر إلى
عينيها الغاضبتين بعينين شيطانتين ساخرتين
يتحداها أن تفعل ذلك.

مضت لحظات لم يأت أي منهما بحركة أو
كلمة. شعرت بالتوتر وارتفع نبضها
كراهية.. ولكن شيئاً آخر زاد في غيظها.

ذلك الشيء كان اسمه الحب.. الحب الدافئ،
الذي يتشبث بالحواس الغاضبة حتى يجعلها

تغني كقيثارة غير منسجمة، لا هذا ليس
عدلا ليس لحواسها الحق في أن تغدر بها بهذا
الشكل!

– الزواج بك سيكون مغامرة جهنمية.

تمتم بذلك وكان لتأثير هذه الكلمات قدرة
رهيبية أعادتها إلى الأرض متدحرجة بدوي
هائل.

– أكرهك.

همست بذلك وهي تدير له ظهرها لكي تخرج
شامخة الرأس. لكن خروجها تعطل بظهور
الطبيب فجأة. زوج عمه لويس.

– آه، هلة خرج أبوك؟

بدت عليه الدهشة نفسها التي بدت على
كارولين حين دخولها، فأجابه لويس: "كان

هناك مقعد خالٍ في الطائرة المتوجهة إلى
لندت لم يشأ أن يفوته، فلديه عمل يستدعي
اهتمامه الفوري قبل أن يعود في الوقت
المناسب لحضور عرسنا الكنسب بعد أسبوع،
أما زواجنا المدني فسيتم اليوم"

بعد أسبوع زواج ديني؟ واليوم زواج مدني؟
أجفلت كارولين، وضغطت أصابع طويلة
على كتفها تنبهها إلى مراقبة ماستقول، وقال
الطبيب بحكمة: "أتمنى لكما السعادة المطلقة،

إن كنت ستأكل في القصر يا لويس، فخذ
معك شخصاً يذوق الطعام أولاً، لأن
كونسويلا-إذا أعطي لها الخيار-تتمنى لو
تراك تحت التراب على أن تنظر إليك وأنت
تسليها ما بقي من حياتها"

لم تفهم كارولين كلمة مما قيل، ماعدا أنها
ولويس سيتزوجان الآن مدنيا وبعد أسبوع
كنسيا، قال لها الطبيب باسماء، راداً القلق
البادي إلى مرض أبيها.

- لا تقلقي على أبيك، ياطفتي، كان بخير
عندما رأيته هذا الصباح. وبعد ما حدث
الليلة الماضية من جراء الصدمة التي تعرض
لها، لن ينسى مرة أخرى أن يأخذ دواءه.

ومد الطبيب يده يقرص وجنتها بعطف قبل
أن يستدير خارجاً من الغرفة، وهو

يقول: "أراكما في الكنيسة، ولكن يجب أن
تعرف أن العائلة لن تعترف بزواجكما المدني،
ولن تعتبركما زوجين حتى يتم ذلك في
الكنيسة، تمنياتي الطيبة"

—ماذا كان يعني بقوله (شخص يذوق الطعام
أولاً)؟ ثم أي قصر؟.. وأي عرس؟

– العرس الذي عليك أن تتوقعيه، والقصر
هو الذي ورثته مع اللقب أما تذوق الطعام
أولاً.. فهي نكته,, وإن كانت تافهة.

ولكنها لم تبد نكته لكارولين، بل بدت أشبه
بنصيحة خطيرة جداً.

فقال بغضب: "ليتك تخبرني عما يدور حقاً
هنا"

فأجاب باختصار: "نأر وثرأء.."

ثم امنتع عن اي كلام آخر وهو يقودها إلى
الممر حيث كثير من الناس يتمشون مايمنع
أي حديث خاص.

كان فيتو مارتيني واقفا قرب السيارة
ينتظرهما، وعندما اقتربا منه سأله لويس على
الفور: "أي خبر؟"

- لا شيء مستعجل.

أجاب الرجل ذلك ملقيا إلى كارولين نظرة

ذات معنى.

ضايقتها تلك النظرة، كثير غيرها ، فقالت

بحدة: "عليكما أن تفكرا في الالتحاق

بالمخابرات السرية"

ثم صعدت إلى السيارة دون انتظار جواب.

مضت لحظات قبل أن ينضم لويس إليها في
المقعد الخلفي، وسرعان ما انسابت بهم
السيارة، وقال لويس بهدوء: "لم يقصد فيتو
أن يخرجك"

التفت إليه بعينين بنفسجيتين استحالتا
رماديتين لشدة الغضب: "أخبرني عن
أحدث؟ عن فيتو مدير اللعب، أم فيتو
النادل، أم فيتو السائق الخاص؟"

–إنه فيتو مدير الأمن لدي وأكثر الموظفين
عندي أهلاً للثقة.

أجاب بهذا ببساطة، لكنه كان تنبيهاً رقيقاً لها
بـحفظ اللسان.

كانت كارولين من الضجر من هذا الوضع
كله، بحيث لم تهتم بحفظ لسانها، فقالت
ساخرة: "آه فهمت ، إنه إذن السيد متعدد
المواهب ، هل هذا يعني أنه الرجل الذي

ينتزع أحيانا أظافر أقدام أعدائك لكي تتأكد
من أن الرجال المسنين المرضى سيرحلون
بالطائرة خارج البلاد التي لا تريد وجودهم
فيها؟"

-لم يُقلَ فيتو أباك إلى المطار، بل أحضرك
أنت إلى المستشفى ، إذا كنت تتذكرين.

أومأت متفهمة : "آه، لديه مساعدون إذن"

تصلبت نظراته الثابتة بعض الشيء : "أظنك
تحاولين افتعال مشكل"

إنه على صواب فهي تريد ذلك.

وضاقت عيناه وقال محذراً: "كوبي حذرة
جدا جدا"

قالت امرأة: "أوقف السيارة"

أما لماذا قالت هذا ، فهي لا تدري.. ولكن
لويس لم يتردد الزر الفاصل بين السائق
والمقعد الخلفي فانزلق الزجاج، وقال أمرا:
"أوقف السيارة يافيتو"

فوقفت السيارة.

خرجت كارولين ووقفت إلى جانب الطريق
قبل أن تجد فرصة تدرك فيها أنها هناك، كان
هذا جنوناً ، الوضع كان كله جنونا، هي لا

تعلم ما تفعله في "ماريبا" لاتعلم لماذا تدع
لويس فازكيز يسيطر على حياتها! كما لا
تعلم ماالذي تفعله بوقوفها هنا تنظر إلى
خليج "ملقة" الغارق بأشعة شمس الصيف
المحرقة.. فيما هي ترتجف.. ككتلة من الثلج!

سمعت وقع خطوات لويس وهو يشق طريقه
بصعوبة على الاسفلت الذائب، لكنها لم
تنظر حولها، شعرت به يقف خلفها لكنها لم
تقر لوجوده. كانت كرامتها مجروحة والقبضة

الفولاذية عادت تشد على صدرها، ثم قالت
بصوت خافت متوتر: "إنها ساعات معدودة
على لقائنا وفي هذه الفترة القصية احتلت
علي، ابتزرتني، وخطفتني، وأغويتني، لقد
ساعدتني على وضع أبي في المستشفى وبعد
ذلك اختطفته خفية.. وباختصار سببت لي
الصدمة بعد الصدمة، بعد صدمة، وأتممت
ذلك بتعاقب منتظم بهدف إفقادي اتزاني
أتعرف ماذا يالويس؟"

—ماذا؟

—ليس لدي أي فكرة عن السبب الذي

يجعلك تفعل بي هذا!

لم يجب.. هل توقعت منه هذا حقا؟ تساءلت

كارولين بمرارة وهي تستدير لتواجهه مباشرة،

كان وجهه اللطيف الصلب مجردا من

التعبير.. كالعادة استمرت واقفة تاركة

الصمت يمتد بينهما عسى أن ينتزع ذلك

تفسيرا منه، وعاد ذهنها إلى الماضي ممعنا
النظر في تلك الأسابيع السبعة التي ظنت
فيها أن الحب ملك يديها، أرادت الآن
البحث عن مفتاح لهذا اللغز الذي يجعله
يعاملها بهذا الشكل، لكن الشيء الوحيد
الذي وصلت إليه كان ذلك المشهد القبيح
الذي وقع بينهما ليلة رحيلها عن ماربيا
نهائيا، كان لويس واقفا هناك، كما هو الآن
طويلا متوتراً، بينما كانت هي تقذفه
بالاتهامات الواحد تلو الآخر.

وسمعت نفسها، وهي تشهق باكية، حينذاك
وتقول: "كيف أمكنك أن تفعل ذلك،
يالويس؟ كيف أمكنك أن تلاعب أبي ليلة
بعد ليلة لتربح نقوده؟"

أجابها حينذاك ببرودة: "ألم يخطر ببالك أن
أباك هو الذي كان يحاول أن يربح نقودا
مني؟"

لم يزد لها قوله إلا غيظاً، فصرخت: "أنت
المحترف! أما أبي فما هو إلا شخص أحمق
سهل الانخداع؟"

—إنه مقامر مدمن يا كارولين، مقامر مستعد
للعب مع أي شخص يريد اللعب، أي
شخص مادام يلعب!

كان رد لويس قاسياً، فأجابت: "يقول إنه
يلعب معك، أتريد أن تقول أنه كاذب"

- لا ، لم يكذب .

لقد كان في ذلك موت حب عظيم، تذكرت ذلك وهي تعود إلى الحاضر، لقد رحلت عند ذلك، وتركها لويس تذهب، ومنذ ذلك الوقت لم يمر عليها يوم لم تغمض عينيها دون أن تراه كما تركته، واقفا تكسو ملامحه برودة الثلج، فتمنى من كل قلبها لو كانت الأمور بينهما مختلفة.

– ليس لهذا علاقة بالماضي، بل بالمستقبل.

قال لويس ذلك فجأة، فطرقت بعينها حائرة
قبل أن تدرك أنه يجب عن سؤال سبق أن
وجهته إليه قبل أن تستغرق في ذكريات
الماضي، وعاد يقول متكاسلا: "أنا بحاجة إلى
زوجة للحصول على القسم النهائي من إرثي،
ولأنني اقتنعت أنا بوجود ذلك، قررت أن

تكون تلك الزوجة أنت ، فهل يرضيك هذا

التفسير؟"

لا .. لم يرضها،

وشحب وجهها: "إذن أنا الوسيلة المناسبة"

قالت ذلك وهي ترى كم كانت سهلة

الاقتناع فهو لم يحاول حتى التودد إليها بل

الأمر كل الأمر أنه قدم إليها عرضاً لم تستطع

رفضه، وقال ببرودة: "وأنا بالنسبة إليك

وسيلة ايضاً، وهذا يبدو عادلاً، أن ترين

ذلك؟"

ارتبكت لاتدري ماتقول، لأنه على صواب

بوصفه الأمر بهذا الشكل! ثم قال فجأة:

"فلننس الآن كل شيء.."

تمهل قليلاً ثم أضاف بلهجة حاسمة: "هل

يمكننا الذهاب الآن؟ لدي ترخيص زواج في

جيبى وليس علينا إلا الذهاب إلى مكتب

تسجيل العقود لتتزوج"

خفق قلبها بعنف بين جنباتها فكل ما يحدث
أشبه بالكابوس وكأن يدا عملاقة تجرها إلى
هوة سحيقة.

قالت والدهشة على وجهها: "زواج.. زواجنا
الآن"

قالت والدهشة على وجهها: "زواج.. زواجنا
الآن"

–هيا لا وقت لدي لمناقشة الأمر أكثر.. أم

أقل إن زواجنا المدني سيتم اليوم . .

توقف هنيهة قم أضاف مهددا: "تعرفين معنى

ان ترفضني الآن"

عندما وصلا إلى مكتب تسجيل عقود الزواج

كانت تشعر بشيء من الخدر وكأن ما يحدث،

يحدث لشخص آخر وفي مكان آخر.

** ** ** ** **

- يمكنك الآن تقبيل العروس.

كان هذا صوت القاضي الذي اترفع منها

بذلك سلسلة من الوعود والتمنيات بزواج

سعيد.

أحنى لويس رأسه وفي عينيه بريق لم تستطع

فهمه ثم قبلها برقة بالغة فحرك فيها رغبة

بالبكاء.

همس لها: "أصبحت أخيرا لي، لي وحدي"

** ** * * * * *

تلك الليلة كان التعب والإرهاق قد أخذ
منها كل مأخذ، جلست في السرير تفكر
كيف انقلبت حياتها في يومين انقلاباً كبيراً
عندما دخل لويس عائداً.

نظرت إليه وهو يضع إبريق ماء مليئاً بالثلج
على المنضدة بجانب السرير قبل أن يدخل
إلى الحمام دون أن ينطق بكلمة.

استقلت كارولين، غير واثقة مما عليها أن
تفعله، أتقرب مادامت الفرصة سانحة، أم
تبقى مدعنة وتتركه يفعل ما يريد؟

لم تقرب، فقد كانت متعبة للغاية، وما هو إلا
وقت قصير حتى خرج من الحمام لا يرتدي
سوى شورت قصير اسود يظهر جسمه
الأسمر أكثر مما يخفي، وقد أحضر معه إلى

الغرفة رائحة الصابون النظيفة والتوتر العالي

لأنه بدأ واثقا من نفسه إلى حد كبير.

قالت له بفضاظة وهو يعلق ملابسه: "لن أنام

معك"

عندما تكلمت توقف ونظر إليها ثم

سألها: "أتعنين النوم العادي، أم ماذا؟"

أجابت: "أعني الاثنين، ولا أدري كيف
وجدت الغطرسة التي جعلتك تظن ذلك"

لم يجب على ذلك مباشرة، بل عاد إلى ما كان
يقوم به أما هي فأخذت تتابع حركاته بقلب
جهدت أن تبطئ من دقاته.

لكنها لم تفلح في ذلك، خصوصا عندما
استدار نحو السرير وأخذ يقترب منه. كان
على وجهه ذلك المظهر الحاقد الذي لا تحبه

كثيرا، انحنى مسندا نفسه بوضع يد على

الوسادة

بجانب رأسها، وواحدة عند ركبتيها المثنيتين.
بدا شديد السمرة شديد الخطر وجادا جدا.
ثم قال ببرودة ثلجية: "أنت زوجتي الآن، فإذا
صممت على تجاهل ذلك فساذكرك به
بالرغم من مرض أبيك، ومن الآن فصاعدا،

أريد منك أن تقنعي الجميع أنك تريدني
أكثر من أي شيء آخر في العالم، هل
فهمت؟"

نعم لقد فهمت أنها مازالت لا تملك من
الأمر شيئاً وقالت: "إذا حاولت أن تلمسني،
هذه الليلة فقد أتقياً"
لم يعبس هذه المرة بل تنهد متعباً ودنا رأسه
منها،, اقترب إلى حد شعرت فيه بأنفاسه
الحارة تلامس وجهها.

– إذا أنا لمستك الآن يا كارولين، فقد
تفجرين بالبكاء ثم تلتصقين بي وكأن حياتك
تعتمد علي.

وليبرهن علي ذلك ، مس شفيتها بشفتيه..
وتدفقت الدموع من عينيها عندما تركها.

ولم تشعر بالغيثان.. بل بالضعف.. لم تستطع
النطق بكلمة حينما مد لويس يده واطفاً

فغرقت الغرفة في ظلام دامس، وبعد ثوان
كانت حركة بين الأغطية قبل أن تشعر
بالفراش ينخفض بجانبها.

لم يحاول مد يده نحوها، لم يحاول اجتياز
الحاجز غير المرئي الذي يقسم الفراش،
واستغرقت هي في النوم ومازالت تكافح
مزيجاً من المشاعر تتراوح بين الاستياء المر
والاشمئزاز البالغ من نفسها، لأنه كان على
صواب، فقد شعرت بالغرابة في التثبيت به.

استيقظت بعد فترة، لكنها لم واثقة مما
أيقظها، ففي تلك اللحظات الذاهلة قبل أن
تتذكر أي هي ، كانت واعية فقط إلى أنها
ممددة على بطنها، منحرفة عبر السرير شاعرة
باطمئنان نفسي رائع، ماجعلها تشعر بصدمة
وهي تدرك أنها ليس نائمة فقط في سرير
لويس، وإنما خدّها ضاغط على كتفه وذراعها
تحيط بصدوره.

والأسوأ من ذلك أنه كان مستيقظاً، علمت ذلك لأنه كان مستلقياً على ظهره وأصابعه تكرر على ذراعها بخفة الريشة، كانت ملامسته عفوية أقرب إلى الملامسة بذهب غائب وكأنه في استلقائه بهذا الشكل محققاً في الظلمة فقد تاه في شوارد أفكاره.

وكان ذلك ممتعاً.

ممتعاً إلى حد لم تشأ حقاً أن تنهيه، لكنها لم تكن تعلم ما إذا بإمكانها أن تستمر مستلقية

متظاهرة بالنوم، لأنها أخذت تشعر بنبضها

يعلو، وباتزان أنفاسها يتغير.

منذ سبع سنوات طويلة موحشة، وقعت في

حب هذا الرجل الأسمر الجذاب نفسه، فيا

لسخرية القدر إذ تجد نفسها بجانبه الآن في

هذا الوضع، هذا الرجل الذي لم يستطع

قلبها أن يحب غيره..

صدرت عنه آهه خفيفة، وتمنت هي لو
تستطيع ذلك، لكنها علمت آهتها
ستكشف اللعبة، وعند ذلك يكون عليها
العودة لتدعيم دفاعاتها، فيعود إليها التوتر،
وتصبح بحاجة إلى الاستمرار في مقاومته،

لكن الآهة أفلتت منها على كل حال، فكان
أن حاولت أن تجعلها عذرا للابتعاد عنه،
وكأن ذلك أثناء نومها، وتحرك لويس في
الوقت نفسه، وتشابكت أصابعهما في

اللحظة نفسها التي انقلب فيها على جنبه
نحوها، ولم تكن سرعتها في إغماض عينيها
كافية، فكان الأمر وكأنها تنظر في مرآة رأت
فيها صورتها العابسة المزاج، كانت عيناه
سوداوين ،، بسواد الليل الذي مازال يحيط
بهما ،،

كان يريد لها ، رأت الرغبة مكتوبة هناك، لقد
فات وقت التظاهر الزائف، فات وقت

الهرب والاختفاء لقد عرف ذلك كما عرفته

هي.

جذبها نحوه بأصابعهما المتشابكة، وسرعان
ما أخذ يعانقها بنهم، وكأنها وجدت شيئاً قد
تأقت إليه طويلاً، وربما لأنها لم تقاومه ولم
تحاول الاحتجاج، أطل عناقها لها متمتماً
وكانه يماثلها شعوراً.

أو ربما يعود ذلك إلى الساعة المتأخرة من
الليل، وشعورهما بالنعاس، يساعد على ذلك
الدف الذي شملها لوجودهما معا والظلام
الذي يحيط بهما.

على كل حال، كان عناقهما مختلفا، عن أي
عناق آخر تشاركاه من قبل، فقد كان بطيئا
عميقا إلى حد لا يصدق وطال وطال حتى
شعرت بأنها تسبح.. تضيع في جمال رائع
جعلها ترفع يدها لتلمس وجنته.. وكأنها بذلك

تريد أن تتأكد أنها لا تحلم وأنه ليس طيفا من
أطيف مخيلتها الحاملة.

وبرقة فائقة، أخذ يلمس وجهها بالطريقة
نفسها، ثم بدأ هذا العناق يتغير إلى مشاعر
أعمق.

أحاطت عنقه بذارعيها. إنه الشخص الوحيد
الذي دخل قلبها وتربع فيه ومنذ سبع
سنوات وقلبها مشتاق إليه، ولكن هذا

الابتعاد عنه جعلها غير واثقة من نفسها
وأخذت تتخلل شعره بأصابعها، لقد نسيت
مؤقتا كل شيء، غدره الماضي، عدم الثقة
الحالية، في هذه اللحظات لم يعد لأي شيء
آخر أهمية والمهم فقط هي مشاعرهما هذه.

عندما نام على جنبه وأخذها بين ذراعيها
بطريقة لم تفسح لها مجالا للهرب كانت
مسرورة بالظلام الذي يحجبها.

– أنت ملكي الآن.

قال ذلك وكان هذا كل شيء.

ولم تزعج كارولين نفسها حتى بالاجابة، لأن إدراكها بأنها كانت دوما ملكه لأمر لا يحتاج إلى ذكاء كبير، كانت ملكه أثناء السنوات السبع التي لم يقع نظرها عليه قط.

–علينا أن نرحل اليوم.

نرحل . . .

إنه يفعلها مرة أخرى . . يخرجها عن اتزانها

بإحدى مفاجآته الصغيرة.

سألته وهي تشهق: "ترحل إلى أين؟"

–إلى قرطبة.

–وماذا في قرطبة؟

–وادي صغير في الجبال يسمى "فال دي لوس أنجلس" وفي الوادي يقوم "قصر لوس أنجلس" وهو من أملاك "لويس أنجلس دي فازكير" الكونت ديل فال دي لوس أنجلس . . "

إذا ظنت أنها وصلت إلى الذروة في السخية والتهكم، فقد أظهر لها لويس الآن قلة ماتعرفه عن فنون السخرية ، واستمر يقول باللهجة نفسها: "هناك سيقم "الكونت" عرسه في كنيسة" فال دي لوس أنجلس"

حسب تقاليد "كونتات دي لوس أنجلوس"
جميعاً، ثم يحمل عروسه إلى قصره المهيب، في
الوقت المحدد لإقضاء الساحرة الشريرة
المقيمة فيه، قبل أن يستمتع بكونتيسته
الجديدة.

–الساحرة الشريرة؟

سألته بحيرة ملتقطة الجزء الوحيد من كلامه
الساخر الذي حيرها فأوماً يقول: "نعم ،
الدونا كونسويلا إنغراسيا دي فازكينز"

"كونتيسة ديل فال دي لوس أنجلس"

الحالية.

-هل هي السيدة التي تحدث عنها زوج

عمتك؟

-نعم، "ثيو فيديل: هو رجل بالغ الفطنة

والدهاء، وهو أيضا الفرد الوحيد في أسرتي

الذي يمكنك الوثوق به.

ثم أضاف جادا: "ومن الحكمة أن تنتبهي إلى

قولي هذا".

** ** ** ** **

7 - استراحة محارب

قال ان تنتبه الى قوله ذاك .. ولكن بعد اربع وعشرين ساعة, كان لويس هو من عليها ان تنتبه اليه وهي تراه يزداد توتراً كلما اقتربا من قرطبة.

جلست بجانبه واخذت تحقق من النافذة الى المشاهد المتغيرة على الدوام, متعجبة مما

يشغل باله اليوم بهذا الشكل, فالمفروض ان
يكون سعيداً, وبجانبه امرأة خاضعة له كل
الخنوع, طائعة له كل الطاعة, حصل عليها
بلا احتجاج بعدما استلم زمام حياتها بكل
غطرسة, حسناً, منذ تزوجا لم تُمنح فرصة
للاحتجاج على أي شيء, فبعدما قضى معها
تلك الليلة خرج في الصباح مع رئيس رجال
أمنه, ولم تره بعد ذلك حتى مجيئه ليأخذها
هذا الصباح لهذه الرحلة .

وقد جاء مرتدياً ثيابه للسفر , التي كانت
عبارة عن بذلة سوداء خفيفة وقميصاً ابيض
, وقد بدا عليه التوتر نفسه البادي عليه
الآن , تقريباً!

- جهزي نفسك بسرعة , اظن ان بإمكانك
ذلك.

كان يتكلم باختصار اقرب الى الفضاظة , ولم
يكذ يعطيها فرصة للاجابة , وعندما عاد بعد
ساعة اكتفى بأن القى نظرة سريعة عابرة الى
الكنزة الوردية الملتصقة بجسمها والى التنورة

النبتية اللون اللتين ارتدتكما للرحلة والغريب
انه لم يسمح لنفسه ولو مرة واحدة ,
بمبادلتها النظر بشكل كامل. لأنه يعلم ان
ذلك دعوة لتبدأ بالتحدث عما في ذهنها مرة
اخرى , وهو شيء لا يريد لوييس , لا يريد
مادام محتفظاً بذلك الحاجز طوال الرحلة ,
ربما هو خائف ان تسأله اين قضى الليلة
الماضية , اخذت تفكر في ذلك بمرارة , فهو
لم يقضيها معها , والحقيقة انه لم ينظر اليها ,

اما هي فنظرت اليه لترى مظهر رجل لم ينل
كفايته من النوم.

لكنها هي نامت , نامت كالأطفال , ولم
تفتقده قبل ان تستيقظ هذا الصباح فتجد
مكانه بجانبها خالياً ممهداً كما كان حين
نامت.

كاذبة , هتف هاتف في داخلها بذلك , بل
استيقظت عدة مرات لأنه لم يكن موجوداً ,
وانت ايضاً قد افتقدته !

تمتم لويس وهو يوقف السيارة فجأة " اللعنة
.. فتنا المنعطف للتو... "

ثم عاد بالسيارة الى الخلف في الطريق التي
اقبلا منها وظل يقود سيارته حتى وصلا الى
مفترق طرق عليه لافتة تشير الى ان مكاناً
اسمه لوس امينوس هو الى اليسار.

اوقف السيارة مطلقاً زفرة ضيق , ثم اخرج
خريطة طرق بسطها امامه واخذ يدرسها
مقطباً جبينه , فعبست هي ايضاً " ألا تعرف
الى اين نحن ذاهبان؟ "

- لا .

لم يشجعها جوابه الفظ , هذا , على
إلقاء مزيد من الأسئلة , لكن الحيرة تملكها ,
فهو لا يضيع عن الطريق ابداً فذاكرته غير
عادية .

- كم مرة سرت على هذا الطريق ؟
كان إصبعه يتابع الخط الأحمر في الخريطة من
ماربيا الى قرطبة .
- لم اجئ قبل الآن .

إستغرق منها استيعاب ذلك الجواب لحظة,
ثم لاحظت توقف إصبعه على مفترق الطريق
هذا , كما افترضت وهي تنظر الى اللافتة ,
واخيراً سألته " أتعني انك لم تجئ اليه من
ماريبا من قبل؟"

اخذ إصبعه يتحرك مرة اخرى متابعاً الخط الى
اليسار حيث كان اسم قرطبة.

- عنيت انني لم اجئ الى هنا قط.

ووصل بإصبعه الى حيث توقف عند نقطة في
الخريطة تحمل اسم فال دي لوس انجلس.

فوجئت بقوله هذا فالتفت اليه " لمَ لا؟"
لم يجب, وإنما اخذ يطوي الخريطة, وعاد
الصمت الذي رافقهما طول الرحلة,
ليلفهما من جديد.

– لويس؟

اجاب متوتراً: "لأنني كنت أعلم انني شخص
غير مرغوب فيه هنا"

– لكنه بيتك؟

– وما علاقة ذلك بكوني مرغوباً فيه؟

تبلجت الحقيقة في ذهنها, فتمت برقة "

تلك التي قد تسمك؟ الساحرة الشريرة

المقيمة فيه؟ أرملة أبيك؟"

- هاقد عرفت.

- وهي .. تكرهك؟

حاولت قول ذلك برقة, لكن اطلق ضحكة

ساخرة " ألا تكرهين الرجل الذي اغتصب

مركز ابنك في الاسرة؟"

لدى ابيه ابن آخر؟ هل للويس أخ غير

شقيق؟ وما إن استوعبت هذا الخبر الأخير

حتى كان لويس يستدير بالسيارة , كان
امامهما طريق طويل مترب متعرج إندفع
لويس فيه , وفي هذه الفترة , لم تستطع ان
تفعل شيئاً بسبب الجو الذي أشاعه راكباها
فيها . والسبب ان هناك مئات من الأسئلة
التي يريد كل منهما ان يلقيها على الآخر
الذي يكره ان يجيب .

– لماذا ورثت انت , دونه؟

اجاب ساخراً: " هل يمنع ذلك اني انا غير شرعي وهو ليس كذلك؟"

احمر وجهها قليلاً لهذا الجواب الوقح. قد يكون لويس متحفظاً الآن , لكنه لم يكن كذلك منذ سبع سنوات , لقد كان حينذاك , صريحاً جداً بالنسبة الى شخص نشأ دون أب , وعاش في بيوت فقيرة شبه متداعية في نيويورك مع أم كافحت كثيراً في سبيل العيش . كانت تعلم ان امه ماتت وهو في التاسعة .

من عمره فقط, وانه عاش بقية صباه في

المؤسسات الخيرية.

– اختارني لأنني املك ثروة كبيرة بينما

الأسرة مفلسة .

وبمعن آخر , اختاره الأب وريثاً له لأنه رآه

مناسباً وليس رغبة منه في ذلك, ولم تستغرب

مايبدو لويس عليه من مرارة وسخرية ,

وسألته " وماذا حدث لأخيك غير الشقيق و

أمه ؟"

ازداد وجهه صلابة: " الحرمان والإهمال

اللذان تركوني فيهما معظم حياتي "

لا عجب اذن ان يمتنع لويس طوال هذه

الفترة عن استلام إرثه , فهو ليس غيباً ,

ويعرف تماماً ما ينتظره , لكن سؤالاً واحداً

بقي لديها لم تشأ ان تتركه " و زواجنا ؟ ما

علاقته بكل هذا؟ "

ظنت لحظة انه لن يجيب , فتوتر فمه وبدأت

الصلابة في نظراته المركزة على الطريق امامه ,

ثم اجاب " زواجنا هو الوسيلة التي اطردهم

بها من البيت , فحسب قرار والدي ,
يمكنهما ان يعيشا في المنزل حتى أتزوج"
عادت قسوته الى الظهور , وبدأت كارولين
تشعر بالأسف على اسرة لويس . وتملكها
شعور فظيع بأن ليس لديهم فكرة عن طبيعة
الرجل القادم اليوم للاجتماع بهم , وإلا لحزما
امتعتهما وخرجا قبل وصوله .

سألته بصوت أبح " ألم تسمع قط بكلمة

الغفران؟"

- يُعطى الغفران عادة لمن يريد.

كان جوابه بارعاً ذكياً, ولكنه جعلها ترتجف,
وكان ان التزمت بعده بالصمت. ولم يتكلما
مرة اخرى حتى وصلا الى قرية أمينوس
الصغيرة الهادئة " سنتوقف هنا لتناول الغداء "

لم تعترض كارولين , فالحقيقة انها بدأت تشعر
بالعطش والتصلب , ولا بأس باستراحة
قصيرة تقويهما على متابعة السير الى حيث
لا تعلم.

وجد لويس مقهى صغيراً امامه موائد خشبية
قابعة تحت مظلة باهتة الرزقة, اوقف السيارة
وترجل منها يتمطى, وانتظر ان تلحق به
كارولين , لم يكن الخان هذا مكاناً عصرياً,
لكن الخبز وطبق السلطة الطازجة كانا
لذيذين.

طلبا دجاجاً وجلسا يأكلان , لكن الصمت
ظل السائد بينهما, تناولت قطعة خبز اخرى
وهي تسأله , فقط لتخترق هذا الصمت "
كم بقي أمامنا لنصل؟"

اجاب باختصار وهو يتناول الخبز " بعض

الوقت "

كان النهار حاراً والهواء رطباً.. لقد كذبت

اذا قالت انها نامت جيداً الليلة الماضية ,

فالآن تأثير عدم النوم يسري فيها , سأها :"

متعبة؟"

- إنها الحرارة و الرحلة , اين نمت الليلة

الماضية ؟

كادت تقطع لسانها وهي تلمح البريق

المفاجئ في عينيه.

تمتم برقة : " هل افتقدتني؟ "

- لا , لقد نمت كلوح خشب .

قال بصوت اجش " حسناً , أنا افتقدتك "

رفعت بصرها بحذر تظنه يمزح , لكنه لم يكن

كذلك . وسرعان ماتغير الجو بينهما , فقد

اخذ ينظر اليها نظرة عميقة مشبعة بالرغبة .

حولت نظراتها بسرعة لأن مشاعرهما توترت

وقلبها اخذ يخفق .

قال : " يمكننا ان نذهب الى مكان ما "

فكادت تختنق بالخبز , أتراه قال حقاً

ما سمعت ؟

- عليك فقط ان تقولي نعم .

آه , هذا غير معقول .

همست " لا , يا لويس . "

واخطأت اذا عادت تنظر في عينيه .

اذا التهبت مشاعرهما , كان يريدها , يريدها

الآن , وقالت بصوت خافت " كف عن

ذلك "

وشعرت بوجنتيها تتوهجان , ومدت اصابع
مرتجة الى طبق السلطة, وإذا بيدها تصطدم
بيده التي كان يمدّها اليها .

وكأنما مست شريطاً مكهرباً , فأبعدت يدها
بسرعة وهي تشهق بحدة . وفعل لويس أكثر
من ذلك , فقد اطلق شتيمة قصيرة بصوت
خافت , ثم هبّ واقفاً.

لم تعرف ما الذي حدث بينهما , فقد دس
يده في جيبه , واخرج بعض النقود التي

ألقاها على المائدة قبل ان يمدّ يده ليمسك
بيدها.

وهذه المرة لم يكن ثمة مجال لنزع يدها لأنه لم
يسمح لها بذلك, فقد ارتد على عقبيه يسير
بخطوات واسعة , في الطريق الترابي تحت اشعة
الشمس يجرها خلفه وكأنها ولد متمرد يريد
ان يعاقبه .

ارادت الاحتجاج .. ان تسأله الى اين
يأخذها فالسيارة واقفة في مكان آخر! لكن

العنف البالغ الذي كسا ملامحه لم يجعلها تجرؤ
على النطق.

وقف فجأة وهو يشد على يدها, ثم استدار
ليدخل الى ردهة فندق صغير.

- لويس.. لا.

استطاعت اخيراً ان تقول هذا , لاهثة لأنها
ادركت ما يريد. لكنه تجاهلها كلياً , بدا وكأن
شيطانا يسوقه . كان وجهه متوتراً وفكه
منقبضاً, وشعرت بوجنتيها تتوهجان خجلاً ,

وهو يفاوض في استئجار احسن جناح في

الفندق بسعر الساعة.

كان الأمر فظيماً , اكثر المواقف التي مرت

بها في حياتها إرباكاً.

اخيراً اعطاه الموظف المفتاح فأتجه الى الدرج ,

وعندما اخذ يصعد , جاراً إياها خلفه ,

قالت بصوت مختنق: " لا اصدق انك تفعل

هذا "

لكنه لم يزعج نفسه بالجواب, فقد كانت
ملاححه من العنف بحيث شعرت بالخوف وهو
يقودها الى فسحة السلم ثم يفتح باباً
ويدفعها الى داخله.

كان الفندق صغيراً وبسيطاً, ولم يكن في
الغرفة أكثر من سرير و منضدة وكرسيين, ولم
يكن هناك مكيف يلطف الحر الخائق, ولكن
ما إن انغلق الباب خلفهما, حتى فقدت
الاهتمام بمظهر الغرفة, إذ كانت مخطوفة
الأنفاس.

سألته وهي تخلص يدها من يده اخيراً " ماذا
أصابعك؟"

لم يجب ولم يكن بحاجة الى ذلك, لأنها علمت
ما حدث له, فقد كان ذلك مرتسماً على
وجهه.

وقفت مبهورة الأنفاس, تنتظر ما سيحدث,
وهي ترى النار و الثلج يمتزجان فيه.. النار
في عواطفه المحمومة, والثلج كوسيلة يتحكم
فيها في نفسه, كل ذلك حرك في كيانها ما لم
تكن تعلم بوجوده.

- لويس , هذا ليس...

لكنه امسك بمعصمها يقطع عليها حديثها ,
ثم وضعهما حول عنقه , كان يتصرف بعنف
وقوة في المشاعر لم تعرف معه ما إذا كان
شعورها بالإثارة سببه هذا , أم الخوف المجرد .
لكنها لم تحاول الهرب منه , وكان في ذلك
الجواب على حيرتها .

- لويس ..

همست بذلك بعجب .. فهي لا تفهم هذا
الرجل مقدار ذرة . فهو , احيانا , بارد للغاية

, قاس في مطالبه , لكنه الآن مختلف , وكأنه
يبدو مرغماً.

– أنا بحاجة اليك .

كان هذا كل ما قاله قبل ان يحني رأسه
ليعانقها بنهم , وبعد ذلك لم يعد أي شيء
مهماً.

كان السرير ينتظر , وعندما استلقيا عليه ,
عبقت رائحة الملاءات النظيفة المنشأة حولهما

.. رائحة زادت , بشكل ما , في بهجة كل

شيء , رغم ان كارولين لم تفهم السبب .

مرّ بهما الوقت بسرعة , ونسيا الى اين كانا

ذهبين .. او ربما تناسيا , فهذا لم يبد لهما

مهماً.

بقيا في الفندق طوال العصر وقد ناما فترة ,

في احد الأوقات جرّوت على السؤال " لماذا

, يا لويس؟ لماذا نحن هنا بهذا الشكل؟"

اجاب متذمراً " انت دوماً تسأليني (لماذا)"

– هذا لأنك دوماً تفاجئني بأمور لا اتوقعها.

قال مكشراً " حسناً, أليس الجواب هذه المرة
واضحاً؟ فأنت, من الجمال, بحيث لا
أتمكن من مقاومتك.. ومن الإغراء بحيث لا
استطيع ضبط نفسي في رحلة معك دون
التوقف اثناءها..."

وانحنى يقبلها, لكنها تعلم ان قوله هذا وإن
كان يرضي غرورها ليس هو السبب الحقيقي
لوجودهما هنا.

لقد أثارت شيئاً ما اثناء الغداء حين ألمحت
الى افتقادها إياه الليلة الماضية. وتمنت لو

بإمكانها ان تفهم ذلك الشيء , لأنها , عند ذلك , قد تستطيع فهم لويس .

واخيراً قررا كارهين , ان يستأنفا المسير ليصلا قبل حلول الظلام . خرجت للاستحمام , وعندما عادت وجدت الشمس قد تحولت عن هذه الناحية من المبنى ففتح لويس النافذة ليدخل الهواء النقي , وكان يقف بجانب منضدة عليها صينية تحتوي على طبق شطائر و إبريق ماء مع الثلج .

- همم.. أرى ان صاحب الفندق شغل

نفسه.

التفت اليها باسماء وهو يملأ كوبي ماء , وقال "

لم نكمل الغداء , في الواقع, وبما ان العادة

في اسبانيا ان يتأخر العشاء , فقد فكرت في

طلب طعام خفيف قبل الرحيل

"

اخذت قطع الثلج تقمقع وهي تنزل من

الإبريق الى الكوب , فجعلها سماع ذلك

تتقدم نحو الطعام. لم تدرك مقدار ماهي عليه
من عطش حتى سمعت هذا الصوت , وقالت
وهو يناولها كوباً " شكرا "

فقال : " هذه شطائر جبن و زبدة وعسل ,
تفضلي "

ثم ذهب بدوره الى الحمام تاركاً كارولين تصب
الماء وتنظر حولها .

ماكان من قبل مجرد ظلال غامضة مغرية ,
بدا الآن اشكالاً ممتعة في الضوء المتدفق من
النافذة. لون جدران الأخضر الباهت بدا

عليه تقادم الزمن, والبسط, المشغولة يدوياً
كانت تغطي الأرض. والسرير بدا قديم
الطراز, اما المصباحان الموجودان على جانبي
السرير, فقد يجلبان ثمناً جيداً في سوق
بضائع ما قبل الحرب.

هذه مهنتها, بهذه فكرت ساخرة وهي تختار
شطيرة وتجلس على كرسي لتأكلها, ولأن
المصباحين اعجابها اخذت تفكر في الثمن
الذي يمكن دفعه فيهما, ومن ثم انتقلت

افكارها الى مكان آخر لم تكن تريد التفكير
فيه حالياً.

احبت الغرفة بشكل عام , وادركت السبب
لأن هذه الغرفة ستبقى دوماً في ذاكرتها , إنه
المكان الذي وجدت فيه سكينه النفس مع
لويس. فهي تحبه وتريده وتريد ان تبقى له
زوجة مهما كان نوع استغلاله لها في الماضي ,
او في الحاضر .

قد لا يستطيع لويس ان يبادلها الحب ,
ولكنها تعلم على الأقل انه يرغب فيها بكل

جوارحه وهي مستعدة للعيش معه على هذا

الاساس .

عاد الى الغرفة بعد ان اغتسل وارتدى ثيابه ,

فخفق له قلبها.

تناول شطيرة وجلس على الكرسي الأخير

وهو ينظر حوله : " إنه ليس قصراً "

قالت باسمة " لكنه حسن , انا احب الفنادق

الصغيرة المنعزلة مثل هذا "

فقال ساخراً " التي هي عكس فنادق الخمس

نجوم المكيفة المرفهة ؟ "

– لهذه الأمكنة روحاً، فهي تخفي في خزائنها

المظلمة اسراراً.

قالت ذلك باسمه وهي تفكر بأسى ، بأنها

أشبه بسرّها.

– يمكنها ان تحدث عن قصص مضت ، هذه

الكراسي مثلاً، من اول من جلس عليها ؟

من أهرق محبرته على هذه المنضدة الرائعة ؟

قالت ذلك وهي تمر بيد رفيقة على البقعة

السوداء.

– أتراها امرأة ؟ هل كانت تكتب رسالة
وداع لعاشقها وقد اعمتها الدموع
فاصطدمت يدها بالمحبرة ؟ أم هو رجل ؟
قالت ذلك برقة فائقة وقد شردت عيناها
وهي تنسج قصة بطريقة يعرفها أبوها , لأنها
كانت تقوم بها على الدوام, لكنها كانت
جديدة على لويس, فسمرتة وهو ينظر الى
تلك الرقة في وجهها ويستمع الى صوتها
الحالم.

– أتراه كان مستغرقاً في كتابة روايته الشعرية

الطويلة بحيث اهرق الحبر أثناء شروده ؟

قال ساخرًا: " الشيء نفسه قد يحدث في

فندق بخمس نجوم "

لكن كارولين هزت رأسها " لو اهرق الحبر

على هذه المنضدة في احد فنادقك

لاستبدلت بمنضدة جديدة في طرفة عين ,

ليس في ذلك روح , يا لويس , لا روح ابداً "

قال باسمًا " انت تحبين , إذن كل الأشياء

القديمة خاصة العائب منها "

– احب أشياء قديمة , عابئة احياناً , كما
احب الجديدة اذا أوحى لي بقصص , احب
الشعور بالمتعة.

– حسناً , بإمكانني ان اعدك بالمتعة في المكان
الذي نحن ذاهبان اليه ؟

عادت السخرية فجأة , فمدت كارولين يدها
تمسك بيده وهي تقول ضارعة : " لا , يا
لويس .. لا تفسد ذلك "

نظر الى يدها على يده , وبقيت ملامحه
متحجرة لحظة ما لبث ان تنهد بعدها وهو

يقلب يده ليمسك بيدها , ثم وقف وجرها

لتقف معه.

كان عناقه رقيقاً وكأنه يعتذر اليها.

اقتربت منه لتعانقه طويلاً , تراجع وقال

وملامحه مغلقة " علينا حقاً ان نذهب "

وادركت ان الوقت الذي انسجما فيه كل

الانسجام انتهى

8 - قصر الكونت

بعدها تجاوزا لويس أميتوس قطاعا مسافة
عشرين ميلاً اخرى قبل ان يصل الى
وجهتهما . وكانت المناظر حولهما تتغير كلما
تقدمت السيارة , من سهول متباعدة بين
التلال المنخفضة الى تضاريس طبيعية وعرة ,
حيث تتخذ التلال شكل الجبال المغطاة
بالغابات .

تغير ايضاً نوع الطريق التي يمران عليها , اذا
ضاقت كثيراً حتى كادت لا تتسع إلا لسيارة
واحدة خاصة عندما بدأت السيارة بصعود
مرتفع شاهق شديد الانحدار كان يحتضن
جبالاً من ناحية تاركاً منحدرًا صخرياً يهبط في
واد عميق مكشوف على ناحية اخرى.
سأله كارولين وقد شعرت بأنهما لن يصلا
ابداً: "كم بقي لنا لنصل؟"
اجاب وقد عاد اليه التوتر واشتدت قبضته
على عجلة القيادة.

– الوادي التالي.

فكرت بصمت انه لا يريد العودة الى هنا .
لا يريد ان يقابل اناساً سبق ان صمموا على
الكراهية والعداء له , وكان ثمة نذير سوء و
الجوّ اصبح بارداً وهاهي ترتجف وتدعك
ذراعيها العياريتين , عندئذ سارع يشغل جهاز
التدفئة قائلاً " كان عليك ان تحضري معك
سترة "

ابتسمت آسفة " لو كنت اعلم الى اين نحن
قادمان , لفكرت في ذلك "

- هناك دثار في المقعد الخلفي اذا كنت ...

- بل أنا بخير.

طمأنته برقة, متمنية لو كان بمقدورها وصفه
بالشيء نفسه, لكنه يعيد عن ان يكون بخير

, فتملكها القلق, إذ كلما ازداد صعوداً,

ازداد توتراً.

قالت مقترحة " يمكنك دوماً ان تقوم بلفتة

ودية وتسلم كل شيء لأخيك غير الشقيق ثم

تترك كل شيء"

هز رأسه قائلاً: " هذا ليس وارداً "

– الأنك تشعر بأنه مدين لك بالسنوات التي

كنت لا تملك فيها شيئاً بينما هو يملك كل

شيء؟

– بل لأنه فقط ليس وارداً.

كرر ذلك بصوت متوتر أنذرهما بأنها تنخس

بالعصا حيواناً شديداً الخطر.

تنهدت ولاذت بالصمت , وكانا الآن يسيران

بين جبلين مرتفعين. ورأت كارولين انهما اذا لم

يصلوا الى الوادي بسرعة, فالمكان الوحيد

الذي يبقى لهما هو الذي مابعد ذلك الجانب
من الجبل لأنهما لن يستطيعا الصعود أكثر
من ذلك. ثم, ودون إنذار حدث الأمر
اخيراً, فقد استدار حول منعطف حاد ليجدا
نفسهما فجأة يسيران في شق في الجبل ..
ولاح لهما القصر.
كان أجمل مكان رآته كارولين في حياتها .
قالت بصوت خافت " أوه , يا لويس !!"
اما هو فبدا عليه الجمود عدة لحظات .. قبل
ان يوقف السيارة .

جلسا بعد ذلك لا يفعلان شيئاً سوى

التحديق برهبة , مخطوفي الأنفاس .

انه قصر فال دي لويس انجلس .. مستحيل

ان يكون غير ذلك , قالت كارولين في نفسها

إنها تراه في اجمل اللحظات حيث شفق

الغروب يتدفق كالهيب فوق المنحدرات

المعشوشبة , مضيئاً على مناظر قعر الوادي

الفسيح لمسات سحرية .

تحتهما مباشرة , كانت مجموعة من المباني
البيضاء التي صبغتها حمرة الشفق , قائمة
حول كنيسة صغيرة قامت وسط ساحة القرية
, ومن هناك , في موازاة الوادي كان جدول
ماء يتسلل برقة قرب طريق مشجر .
وهناك , انتصب امامهم القصر وكأن كل
حكايات الجن الخرافية قد حدثت فيه . كان
قصرأ ابيض الجدران , سقفه من القرميد
الأحمر , ذا ابراج اسطوانية وجسر يجري تحته
جدول المياه , وينتهي امامه الطريق الترابي .

همست كارولين " إنه الجمال بعينه "

وتصلب جسم لويس بحدة, وكأن صوتها
أيقظه من حالة ذهول , لكنه لم ينطق بكلمة
, بل تحرك بالسيارة التي سارت بهما مرة
اخرى وقد احاطت به موجة جديدة من
التوتر ابقت لسان كارولين معقوداً.

لم يكن النزول الى الوداي مخيفاً كالصعود
اليه. وبدلاً من المنحدرات المخيفة , اخذا
يهبطان بشكل متعرج عبر جلال مزروعة

انتشرت على جانبي الطريق , وكلها خضراء
خصبة.

استقرت بهما الطريق اخيراً في قعر الوادي
خلف القرية مباشرة. وكان دخولهما الى القرية
شيئاً مختلفاً تماماً, كان الناس خارج بيوتهم
يتمشون او يتحدثون الى جيرانهم , بينما
الكلاب تنبح حول اطفال يلعبون, إن الأمر
أشبه بدخولهما عالماً آخر . وبدا كل شيء في
هذا المكان , غير حقيقي , الناس البسطاء

السود العيون و الشعر , والبيوت البيضاء
الحسنة بأبوابها و نوافذها المتألقة الألوان .
و ازداد هذا الاحساس مع وقوف الأشخاص
في الطريق يحدقون اليهما وهما يمران بهم.
فكرت كارولين في انهم يعرفونهما , او على
الأقل يعرفونه هو . واستغربت وهي تراهم
يحدقون بفضول من نوافذ السيارة الى جانب
وجه لويس المتجهم .

قالت بهدف التخفيف من كل هذا التوتر: "

هل علي ان ابدأ بمنادتك بقلب كونت

الآن؟"

فأجاب متجهماً: " جري لقب الابن غير

الشرعي "

وهنا فرغ صبرها , لأن لويس وهو مشغول

بالتفكير في نشأته , لم يكن يرى ما يراه هؤلاء

الناس وهم ينظرون اليه . لقد كانوا يرون

وجهاً لطيفاً اسمر متكبراً لشخص منهم ,

كانوا يرون شعرهم الأسود الحريري وبشرتهم

السمراء وعيونهم البنية الداكنة تقول ,
بوضوح تام , هوذا واحد منا , لم تكن
ملاحظتهم ساخرة او عدائية .. او تعبر عن
الازدراء حتى , بل كانوا فضوليين فقط.
إذا كان ثمة ما يذكر , فهو النظرات التي
تلقتها منهم , فقد كانت غريبة كلياً بشعرها
الأشقر ولونها الناصع البياض وعينيها
البنفسجيتين , فشكلها لم يكن مألوفاً إطلاقاً.
عندما وصلا الى ساحة القرية حيث الكنيسة
الصغيرة اللطيفة الشكل , انتبه الجميع الى

شاب ركض يقطع الساحة الى الكنيسة .
وبعد ذلك بحظة , خرج كاهن مرتدياً جينه
السوداء البسيطة , كان طويلاً ونحيفاً , ذا
شعر ابيض يحيط بوجهه المتغضن , اخذ ينظر
اليهما , وهما يمران , بذكاء رزين شعرت معه
كارولين بوخر في قلبها .

سألت بصوت مختنق : " هل هذه هي
الكنيسة حيث يفترض ان نتزوج دينياً؟"
اجاب لويس " نعم "

– ألا تظن , ان علينا ان نتوقف , او على

الاقبل ان نمضي النهار مع الكاهن ؟

تضمن سؤاها اللهفة واللوم معاً , لأنها لا تريد

ان تجرح هؤلاء الناس وكانت واثقة من ان

لويس عندما يتمكن من ان يهزم ذلك الذي

يقتله ببطء فسيندم حتماً لأنه جرح اي

شخص هو ايضاً.

هز لويس رأسه المتجههم , ولم يدع عينيه

تتحولان عن الطريق امامه , ولو مرة واحدة ,

وهما يجتازان الساحة وسط صفين من

المشاهدين.

ولم تبد عليه الراحة عندما تركا القرية ومرا بين

صفوف اشجار الفاكهة المنتظمة من برتقال

وليمون وخوخ ومشمش . سألت برهبة ,

وهي ترى كل مايمكن ان تقدمه الحياة من

ثراء : " كيف يمكن لمكان كهذا ان يفلس؟"

اجاب لويس ساخراً: " بسبب تبذير و

إسراف مالكيه السابقين"

- لا احد يملك شيئاً كهذا , إنهم مجرد حراس
له مسؤوليتهم تنحصر في العناية به بأجمعه
اثناء إدارتهم له . وإذا لم يستطيعوا ان يروا
مايجب ان يكون له من شرف و امتياز , فهم
يستحقون ان يفقدوا حق رعايته .

قال ساخرأً: " تتحدثين كسيدة املاك حقيقية
, ربما علي ان ابدأ حياتي من جديد واتنازل
لك عن كل شيء "

- يمكنك ان تسخر مني كما تشاء يا كونت

, ولكن إن كنت لا تستطيع فهم ما أعني ,

فعليك ان تفعل ذلك حقاً.

- هل انتهت المحاضرة ؟

- نعم, لقد انتهيت.

وتنتهدت , وهي تتساءل بضعف عما يجعلها

تزعج نفسها بالاهتمام به . فهذا الرجل لا

يقتنع بأي شيء لا يناسب وجهة نظره !

- هذا حسن, لأننا وصلنا , واشعر كأنني في

جهنم .

طعنها هذا الاعتراف المدهش في صميم قلبها
، فالتفت تنظر اليه فهاها شحوب وجهه
وتقلص ملامحه فنظرت بشكل آلي الى حيث
كان ينظر .. فارتعدت .

ذلك انهما ، وهما يتبادلان الكلمات اللاذعة
، وصلا الى نهاية البستان وسارا فوق الجسر
المتحرك الى تحت قنطرة مدخل يخرق جداراً
ابيض يحيط بأرض القصر الخاصة.

لم تر في حياتها قط شيئاً كهذا , كان يبدو
مذهلاً من فوق الجبل , ولكن من هنا , من
قعر الوادي وعن هذا القرب , بدا القصر
السحر بعينه بجدرانه البيضاء التي غمرتها
حمرة الشفق .

كان ذا جمال رائع مثير , الحدايق المنظمة,
التي كانا الآن يجتازانها , تخطف الأنفاس ,
وطريق السيارة ينتهي الى فناء مبلط في وسطه
بركة مستديرة فيها تمثال نبتون يتدفق من قمة

الماء, ويجرس مدخل القصر الفسيح المزين
بقنطرة.

اوقف لويس السيارة فنزلا منها دون كلمة ثم
وقفنا ينظران حولهما . وتمتت تقول " ياها
من حماقة !"

التفت اليها مقطباً بحيرة " ماذا؟"

- أعني القصر , لا يبدو كما يفترض به ان
يكون .

- ما الذي جعلك تقولين هذا ؟

بدا عليه الجهد وهو يدفع بنفسه الى النطق ,
ولكنه ما إن فعل ذلك حتى تبدد بعض ذلك
التخلص الفظيع من ملامحه.

- انظر حولك, ليس من سبب يدعو لبناء
قصر حصين هنا في الوادي, فالجبال نفسها
هي التي تحصن هذا المكان , لو اردت ان
تحصن ما هو لك, لكان عليك ان تقيم البناء
هناك في أعلى الجبل الذي جئنا عن طريقه ,
هذا..

وأشارت برأسها الى القصر : " أقيم لكي
يرضي غرور شخص غريب الأطوار "
وعادت تنظر الى القصر " إنها حماقة , لكنها
حماقة رائعة "

وأضافت لنفسها , ان هذه الأسرة اخطأت
في دفع نفسها الى الإفلاس نتيجة بذخها
وإسرافها , ولكنهم على الأقل احتفظوا
بالقصر الذي اصبح الآن ملكاً للويس ,
ونظرت من فوق السيارة الى هذا الرجل
الذي هو مزيج معقد من ثقافات مختلفة

جعلته يخفي شخصيته الحقيقية ولعله هو

نفسه لا يدري ماهي حقيقته بالذات.

– إنهم يراقبوننا.

اجابت " أعلم هذا "

نعم لقد شعرت بأعين تخترق جسدها من

خلف زجاج النوافذ منذ اللحظة التي نزلنا

فيها السيارة .

– ما الذي تريد ان تعمله الآن ؟ تفرع الباب

وتطالب بالبيت ؟ أم تتصرف بشكل أكثر

تهدياً وتنتظر حتى يدعوننا الى الدخول؟

وفيما كانت تقول ذلك ساخرة, انفتح الباب
خلف التمثال الكبير نيتون , خفق قلبها ,
وخلفها بجانب السيارة سمعت قدمي لويس
تحتكان بالحصى , ودون ان تفكر , دارت
حول السيارة ووقفت بجانبه.

عند ذلك, بدا رجل في عتبة الباب , كان
قصيراً نحيفاً كبير السن , لا يبدو في ملامحه
ما إذا كان يرحب بهما ام يدخلهما , كارهاً
الى حرم القصر المقدس .

فقال كارولين برقة : " حان وقت المواجهة "

– هذا ما يبدو .

وافقها على ذلك ثم امسك بيدها وكأنه يريد
ان يسندها معنوياً, ولكم شعرت بالراحة
وهي ترى لويس فازكيز العنيد يعود مرة
اخرى ليحل مكان ذلك المتوتر المتضايق
الذي انتهى امره .

دار حول النافورة معاً ثم صعدا الى الباب .
وتمتم الرجل العجوز بجمود وهو يحني رأسه
قليلاً " مرحبا بكما . تفضلا بالدخول من
هذا الاتجاه "

وقف جانباً ليتمكننا من الدخول امامه ,
وعندما انغلق الباب خلفهم وجدا نفسيهما
في مدخل فسيح مبني من الحجر ومن خشب
السنديان وامامهما سلم حجري يبلغ اتساعه
ثماني اقدام . كانت الجدران الخشنة مكسوة
بالجص مطلية باللون المشمشي , فأضفى
ذلك دفناً الى مظهر الضيافة الباردة التي
ينطق بها المكان .

بدأ قلب كارولين يخفق, لكن قبضة لويس
اشتدت على يدها, كان معتاداً على قاعات
الاستقبال الواسعة.. معتاداً على الوقوف
بين الأشياء الرائعة الجمال. لكن الأمر هنا
مختلف, فهنا ماضيه يواجه حاضره. حتى
هي نفسها, التي عرفت دوماً مكان جذورها
, شعرت بمدى أهمية هذه اللحظة بالنسبة
اليه.

ومع ذلك, كان صوته هادئاً رقيقاً وهو
يلتفت الى الرجل قائلاً: "من انت؟"

سأله بلهجة الكونت النبيل الأصل ،

ما جعلها تشعر بالفخر به وهي التي تعرف

ما يشعر به في داخله.

اجاب الرجل باحترام " انا بيدور ، يا سيدي

، رئيس الخدم "

لم يبدُ في صوته إدانة للويس كونه ابن فاركينز

غير الشرعي. وكان الرجل يتابع قائلاً: " ارجو

منكما ان تتبعاني ... "

ثم قادهما على أرض حجرية ملمعة مارين

ببذلتين من الدروع و كأنها تحرس السلم .

كما كانت هناك قطع فنية منتشرة في كل
مكان في الردهة جعلت رأسها يدور وقد
استيقظت فيها روح المهنة , وكأنما احس
لويس بذلك , فسألها متكاسلاً: " هل هنا
مايكفك من روح المهنة ؟"

- شيء ممتع .

قالت ذلك باسمه وهي تقترب منه عندما فتح
بيدرو باباً ضخماً ثم انحنى لهما بأدب يدعوهما
الى الدخول : " السيد لويس فازكيز و زوجته"

اعلن ذلك لمن في الداخل , ولم يفت كارولين
ان رئيس الخدم لم يشر الى لويس بقلب
الكونت .

وإذا كان لويس لاحظ هذا الإغفال , فهو لم
يظهر ذلك . كانت ملامحه مسترخية ويده
تمسك بيد كارولين , وخطواته الواسعة تجتاز
غرفة الجلوس الرائعة الجمال , حيث تحتل
مدفأة ضخمة الجدار بأكمله تقريباً , وهناك
وقفت امرأة تنتظر قدومهما .

كانت صغيرة الجسم رشيقة سوداء الشعر
والعينين , ترتدي طقمًا ذا لون رمادي فضي
مظهره الفولاذي يشبه التعبير البادي على
وجهها وهي تبادل لويس نظرتة الباردة .
مضت لحظة طويلة مخيفة , بعد ان خرج
بيدور مغلقاً الباب خلفه , لم ينطق احد
اثناءها بكلمة , واخذ الإثنان يتفرسان في
بعضهما بعضاً , وكارولين تشاهد ما يحدث
حابسة انفاسها .

نطقت المرأة اخيراً: " مرحباً "

اجاب بلهجة رسمية متكلفة : " تشرفنا , يا

خالتي .. "

وقطبت كارولين حاجبيها وهي تفكر في

السبب الذي يجعل لويس يناديها بكلمة

خالتي ! فمن المؤكد انها زوجة ابيه .

- تبدو شبيهاً بأبيك .

- وانت تشبهين أُمي , لكن صحتك افضل

بكثير مما كانت عليه صحتها حين رأيتها

للمرة الأخيرة .

كان حديثاً تجمد برودته الدم , وكذلك حلاً
للغز الذي حيرّ كارولين فهذه المرأة اخت
والدته . ولا عجب ان تشتد قبضته على
يدها . ما الذي حدث هنا منذ ثلاثين سنة؟
ثار و ثراء.. تذكرت الآن فجأة ما قاله مرة .
وبدأت تفهم ما حدث , واكثرها يدور حول
اختين , ورجل واحد , وكل هذا.
مسّ وجه المرأة شحوب طفيف . لكن عينيها
لم تطرفا , واجابت : " كانت سيرينا شاعرية

حمقاء, يا لويس, وانت لن تجعلني اشعر
بالذنب لالتقاط ما داست عليه بغباء"
اجفلت كارولين حين كاد لويس يسحق
اصابعها , لئلا يتصرف لويس بعنف , قالت
له بمرح " قدمني , يا لويس "
مضت لحظة ظنت فيها انه سيتجاهلها ,
لكنه قال باقتضاب " كارولين , هذه اخت
أمي و أرملة أبي, الكونتيسة دي فازكيز "

بادرت المرأة المتصلبة الوجه بابتسامة مشرقة

:

- مرحباً ما أشد سروري لقدومي الى هنا,

القصر رائع الجمال , أليس كذلك؟ لكنني لا

اظنه قديماً جداً.

ادركت انها تثرثر كالمعتوهة , لكنها لم تهتم

بذلك ما دام بإمكانها تغطية العداء الذي

يتسلل بينهما.

- يبدو من طراز القرن الحادي عشر ,
ولكنه على ما اظن يعود الى القرن السادس
عشر فقط.

فجأة تدخل صوت قائلاً : " بل السابع عشر
, تملكنا يوماً نوبة غضب لكرامته
الجريحة لأن رجلاً آخر فاز بيد سيدة معينة
بسبب كبر حجم بيته , وكان ان قرر جدي
بناء القصر هنا في الوادي وبني لنفسه هذا
البنى المهيب , ثم تزوج شقيقة تلك السيدة

الصغرى و التاريخ في هذه الأسرة يعيد نفسه
دائماً, كما ستعلمان حالاً.

جمدت كارولين في مكانها عند سماعها هذا
الصوت المؤلف لديها , ثم ظهر رجل طويل
اسمر جذاب من الناحية الأخرى لغرفة
الاستقبال المستطيلة .

توقف ثم ابتسم وهو يرى ملامحها الذاهلة ثم
تجاهل لويس كلياً وتابع بالثقة بالنفس ذاتها ,
تلك التي نفرت كارولين منه كثيراً عندما رآته

للمرة الأولى , قائلاً: " فيليب دي فازكينز , في

خدمتك سيدتي "

إنه الرجل الذي قابلته في المصعد في فندق

لويس في ماريبيا , وابتسم لها بتكاسل " لم

نصل قط الى حد التعارف , أليس كذلك؟"

- نعم , يا سيد...

أقرت بذلك ولم يجعلها تصافح يده المدودة

إلا التهذيب , وكانت يده باردة ناعمة .

- فيليب , من فضلك , بتنا من اسرة

واحدة على كل حال .

اقتربت قليلاً من لويس ويدها تتوتر في يده
بشكل غريزي .

ادركت وهي تقارن بين قبضة لويس الساحقة
ليدها , وقبضة اخيه نصف الشقيق الناعمة
ليدها الأخرى , ادركت اي القبضتين تشعرها
بالأمان , لكنها عادت فتذكرت آخر مرة
قابلت فيها هذا الرجل , وما احست به
حينذاك من انها إذا حاولت الهرب منه ,
فقبضته ستشدد بشكل مؤلم .

قالت بأدب: "فيليب"

ثم سحبت يدها من يده وبسطتها على صدر
لويس , كان هذا منها إعلاناً واضحاً عن
علاقتها الحميمة بشكل لم يغفل عنه حتى
لويس , وقالت باسمه " لويس , أليست هذه
مصادفة غريبة ؟ لقد قابلت اخاك في الفندق
ولم يكن لديّ فكرة انه قريب لك "
قال لويس بلهجة مطاوعة: " نعم , يالها من
مصادفة! "

كانت لهجته اكثر نعومة وكسلاً من ان تكون
حسنة , ولأنها تعرف لويس وطبعه , تعرف
انه كلما اشتد غضبه كلما ازداد هدوءاً.

هل ادرك فيليب ذلك يا ترى؟ هذا ما فكرت
فيه عندما تحولت عينا فيليب اخيراً لتشتبكا
بعيني اخيه الذي طال ضياعه , وقال باسماء :
إذن , فقد اجتمعنا اخيراً"

اخيراً ؟ صدمت كارولين هذه الكلمات . لقد
رأت فيليب في الفندق وهذا يعني ان لويس

رآه . أعله لم يره وقتذاك ؟ او يعلم بوجوده

هناك .

ويبدو انه لم يكن يعلم بوجوده , إذ اجاب
لويس بجفاء : "ربما ليس قبل الوقت المناسب"
اصبح الجو فجأة معقداً بفوضى المشاعر التي
اضطربت في انفسهم , هم الثلاثة .

كان هناك ثلج .. ثلج كثير وفضول كبير ..
كان هناك خصومة مشتركة تولدت عن
منافسة اخوية متفجرة حيث اخذ الرجلان
يقومان وزن بعضهما بعضاً .

لم تتأكد ايهما كان الفائز في تلك المعركة
الصامتة لكنها تعلم بشكل مؤكد ايهما في
مركز القوة بصرف النظر عن الحركة الفكرية.
- مرحباً بك في بيتك يا لويس.

قال ذلك بابتسامة فيها شيء من السخرية
ادركت هي منها ان فيليب اقر لأخيه الشيء
نفسه , مسلماً له بالتفوق و متابعاً: " مع
التمنيات بأن تكون السنوات العشرون
القادمة من حياتك , اسعد و أقوى حظاً من
سنواتك العشرين الأولى ... "

وكان هذا قولاً قاسياً شهقت له حتى أمه.

وهذا ما فعلته كارولين وهي تقبض على

قميص لويس بأصابع متوترة ، وكأنها تحاول

ان تهدئ الوحش قبل ان يقفز.

لكن لويس ، لدهشة كل منهم ، ضحك

قائلاً " فلنأمل جميعاً هذا ..و إلا وقع هذا

المكان في متاعب جمّة"

وربح لويس الجولة ، لكن الظاهر انه لم ينته

بعد إذ تابع بصوت هادئ : " وهذا يذكرني

بأنني بحاجة ماسة الى التعرف الى هذا المكان

قبل زفافنا الديني الأسبوع القادم , فهل نبدأ
بجولة في الانحاء قبل ان نجلس للقيام ببعض
الحسابات المتعلقة بالمنزل ..؟"

9 - هوية الحب

كانت كارولين جالسة بهدوء عند نافذتها
المواجهة لغرفة الضيوف , عندما سمعت قرعاً

خفيفاً على بابها , ومضت لحظات فكرت
فيها بالأ توجب .

كانت أياماً فظيعة تلك التي مرت بها , أياماً
مليئة بالتوتر و القلق والعيون التي كانت
تراقب كل ما تفعله وكأنهم يخافون ان تهرب
بفضيات البيت!

وفوق كل هذا , استلم لويس المسؤولية هنا
وكأنها مجرد مكسب جديد بين مجموعة
مكاسبه الدولية. فهو هادئ , متزن , بارد ,
ورجل اعمال مثالي . كان الناس خصوصاً

موظفوه في غاية الرهبة منه . كانوا يتراخضون
في الأنحاء كأرانب صغيرة مذعورة متلهفة الى
إرضائه . و إجمالاً كان التغيير الذي قام به,
كافياً لجعل أي كان يشهق عجباً.
لكن هذا لم يكن مكان عمل, بل بيت , وإن
كان بيتاً غير عادي. ولكن كيف لها إظهار
ذلك لرجل لا يكاد يعترف بوجودها ؟
فلويس لم يكن يكلمها , إنه غاضب لسبب
تجهله.

احست بأن مزاجه هذا عائد الى مقابلتها
اخاه قبل ان يقابلها . لقد سأها عن ذلك
اللقاء الذي حدث بالصدفة .. لا , لم يكن
سؤالاً بل كان استجواباً , ماذا قال ؟ وكيف
قاله ؟

وعندما غضبت وسألته لماذا هذا الأمر مهم
بهذا الشكل , ابتعد عنها بكل بساطة .

وبعد ذلك بخمسين دقائق رآته واقفاً خارج
القصر وعلى اذنه هاتف خليوي . أياً كان

المتحدث اليه , فقد تلقى من لويس توبيخاً
غاضباً, وقد استطاعت ان تلاحظ ذلك من
هذه الغرفة وهي تنظر الى الظلام في الأسفل.
منذ ذلك الحين, لم تقع عيناها عليه إلا في
اوقات تناول الطعام على المائدة مع آخرين ,
بحيث لا تستطيع محادثة عما يزعجه , حتى
إنهما كانا ينامان في غرفتين منفصلتين ,
والحقيقة ان موقفه البارد منها قد جرحها, مع
انها ترفض الاعتراف بذلك.

عاد القرع على بابها، فنهضت وهي تنتهد،
وسارت لتفتح الباب، فإذا هي إحدى
الخادمت الصغيرات التي تمتت قائلة "
المعذرة سنيوريتا، ارسلتني الدونا لأخبرك ان
الكاهن هنا وهو يريد محادثتك "
- لا بأس، شكراً ابريل، هل لك ان تخبريه
بقدومي بعد دقائق؟
اين هو لويس؟ تساءلت بقلب مثقل ودخلت
حمامها، لكنها تعرف اين هو لويس.. او
على الأقل اين ليس موجوداً، فلويس ليس

هنا في الوادي , إذ رحل بالطوافة التي
وصلت لتأخذه هذا الصباح , ولم تره او
تسمع عنه منذ ذلك الحين .

محط الطائرة الطوافة هو احد الإنشاءات التي
احدثها لويس منذ قدومه الى هنا . فقد
احضر عشرة رجال من القرية مهدوا بقعة من
الأرض في أقصى الحديقة حتى قبل ان تنهض
كارولين من فراشها ذلك الصباح الأول .
ومما احدثه ايضاً بسرعة لا تصدق هي سارية
لاسلكي للإتصالات البعيدة على رأس الجبل

لكي يحسن من إرسال القمر الصناعي , وقد
شرح ذلك اثناء العشاء . ويبدو ان ليس
بمقدوره إدارة مجموعته المتعددة الجنسيات من
دون وسائل اتصال جيدة.

لكنه لم يستعمل هذا المبادئ في حياته الخاصة
مع الأسف .

لم يفعل ذلك , وجدت ان عليها بمفردها
لمواجهة الكاهن , فلويس لم يزعج نفسه
ببحث ذلك معها !

وهذا سيجعلها تبدو جيدة جداً في نظر
الكاهن ! خاصة بعدما يكشف انه يعلم عن
ذلك أكثر مما تعلم العروس نفسها!
سأقتلك في أقرب وقت, يا لويس فازكيز !
توعده بصمت وهي تتفحص تنورتها التبنية
اللون وبلوزتها الوردية التي لا تبدو بحالة
جيدة جداً.

عندما غادرت لندن, احضرت معها ملابس
لحفلات ولرحلات طويلة, او لاستكشاف
غرف قصر كثيرة العدد!

وجدت الكاهن ينتظرها في غرفة الجلوس
الصغيرة التي تحب الأسرة استعمالها في النهار
لأنها تؤدي مباشرة الى الحديقة . كانت الخالة
كوتسويلا تنتظر معه , لكنها ما إن قدمت
كارولين الى الكاهن دومينغو , حتى تركتهما
بمفردهما .

في الحقيقة , إن كارولين تشعر بالأسف على
كونسويلا , فقد فقدت زوجها في الأشهر
الأخيرة , ورأت ابنها يحرم من وراثته كل
ما تعتبره حقاً له , وهي خسرت حقها في

العيش في بيتها الذي امضت فيه الأعوام
الثلاثين الأخيرة. ثم اصبحت الآن في بقائها
هنا , تأخذ ما يريد لويس ان يلقي به اليها ,
و الواقع ان هذا كله مؤثر حقاً.
هي شخصياً , ما كانت لترضى لنفسها بهذا
, الكبرياء وحدها كانت ستجعلها تهرب قبل
ان يحضر ابن اختها الحاقدا. لكن تلك المرأة
اجابت ببرودتها وجفائها المعتادين على كل
أسئلة لويس الدقيقة العنيفة عن إدارة القصر

, واحالته بسرعة الى اولئك الذين كانوا
يعرفون المزيد عن إدارة بقية المزرعة .
اما ابنها فلم يفعل شيئاً ولم يقدم أي
معلومات , بل عزل نفسه وذلك بركوبه احد
جواده الأندلسية الرائعة كل صباح , وبقائه
حتى يحل الظلام .

انتقل فيليب من حالة الظرف البالغ الى
العزلة و الشرود الدائم. كان بإمكانه البقاء

هنا, كأمه , ولكنه على عكسها لم يستطع
إخفاء استيائه البالغ.

ولم تكن كارولين تلومه لهذا الشعور , فمهما
كان حق لويس القانوني في وجوده هنا, فإن
فيليب معذور لما يملكه من غضب ومرارة
لغدر أبيه به.

تمنت فقط لو ان بإمكانها ان تشعر نحوه
بمودة أكثر على الصعيد الشخصي , عند
ذلك فقد تستطيع التوسط بين الأخوين ,
فتقرب بينهما بشكل ما.

حياها الكاهن دومينغو باسماء: " يسعدني

التعرف اليك اخيراً"

فابتسمت وصافحته قائلة: " لقد ذهبت

لزيارتك أمس فلم اجدك"

- كنت ازور كاهناً زميلاً في الوادي القريب ,

فنحن نحب الاجتماع معاً اسبوعياً لبحث

امور الرعية, لكنني اسفت لعدم وجودي حين

زررتني.

دعته الى الجلوس بعد انتهاء المجاملات , وهي
تسأله " هل يمكنني تقديم شيء لك؟ شاي ,
قهوة , أم أي شيء بارد؟"

هز رأسه , مشيراً اليها بالجلوس قبله ,
وعندما جلسا على مقاعد لويس الخامس
عشر , سألها : " هل اعجبتك كنيستنا
الصغيرة؟"

اضافت مبتسمة ابتسامة حارة " إنها اجمل
كنيسة دخلتها , وكذلك الوادي كله"
قال : " لكنها منعزلة جداً"

فقلت مازحة بالابتسامة نفسها " وهذا جزء

من سحرها "

- وكذلك .. كاثوليكية متدينة للغاية.

فغابت ابتسامتها " وهل ذلك سيكون

مشكلة ؟ فأنا غير كاثوليكية "

وتابعت تفكر بصمت : " اين انت يا لويس ؟

كان عليك ان ترى هذه المشكلة ! "

اخذ الكاهن ينظر اليها مفكراً: " هل هذه

مشكلة بالنسبة اليك؟ "

اجابت بصراحة : " فقط إذا طلبت مني

التحول عن مذهبي "

هز رأسه : " لا , لا اطلب منك تلك التضحية

, كما اتمنى ألا تطلب كنيستك الانجليزية

الشيء من لويس لو انعكس الوضع. أترين؟

إننا متحررون هنا , حتى في وادينا الصغير

النائم "

- ولكن هنالك مشكلة , كما يبدو ؟

- المشكلة تتعلق بالإخلاص أكثر منها

بالدين , سأتكلم بصراحة , اعرف انكما ,

انت و السيد لويس تنويان تبادل العهود
المقدسة التي قد لا تكون صادقة , وهذا ما
قد تكون نهايته مشؤومة .

مشؤومة ؟ تمسكت كارولين بهذه الكلمة
تأملها مقطبة الجبين , وقد انتهت فجأة الى
اين سينتهي الكاهن بها " هل تريد القول ان
كل زواج يعقد في كنسيتك هو زواج حب؟"
سألته هذا وهي تعلم انه - اذا كان هناك -
زواج من دون حب , فهو موجود في اسبانبا!

- في هذه الحالة بالذات , ما يهمني هو فقط
زواجك من السيد لويس . فقد تقابلتما للمرة
الأولى منذ خمسة أيام فقط , كما قيل لي ,
وبعد ساعات من ذلك اللقاء أعلن السيد
لويس رغبتكما في الزواج , ما جعل أباك
ينهار مصدوماً , كما سمعت ان أباك مدين
للسيد لويس بمبلغ كبير , ثم سارعتما للزواج
مدنياً ربما لتسهلا عليكما أمر الطلاق إذا
شئتما يوماً فهل وراء هذه اتفاقية ؟

بدا الذهول في عينيها : " ممن سمعت ما سمعت

؟"

- مصدر معلوماتي غير مهم, ما يهمني هنا هو

أنت, , جئت الى هنا اليوم والقلق يساورني

عليك لأنك أرغمت على هذا الاسباب فوق

طاقتك .

قالت متحدية وهي تنهض واقفة غير متوقعة

ان يبحث امورهما الخاصة بهذا الشكل: "

أتقول إنك ترفض ان تزوجنا انا و لويس ؟ أم

لعلك ترفض لأننا تجرأنا على الزواج مدنياً
اولاً"

فنهض واقفاً بدوره تأديباً : " لا , فالسيد لويس
هو الكونت الجديد هنا في هذا الوادي , فإذا
طلب مني ان ازوجه الى سيدة مكممة
ومقيدة الى جانبه لفعت ذلك "
وهز كتفيه باسماءً بسخرية : " وهكذا ترين ان
العادات القديمة لم تمت كلياً! "

وابتسم لها , لكنها لم تكن في مزاج تبادلته فيه
ابتسامته , فقالت ببرودة : " إذن , دعني أرح
ذهنك , معلوماتك مغلوبة لأننا أنا و لويس
نعرف بعضنا بعض منذ سبعة اعوام , وأنا
احبه منذ ذلك الوقت "

ولم يكن هذا كذباً تماماً ولا حقيقياً تماماً ,
لكنه , في هذا الوضع , يخدم مصلحتها
كثيراً .

دهشت وهي ترى ان الكاهن وافقها على
تصحيحها هذا , كما انه لم يقلقه , واجابها

على الفور : " وهل احببت السيد لويس حقاً

مدة سبعة اعوام؟"

ابتسمت نصف ابتسامة فيها من الأسى اكثر

مما فيها من السخرية , اجابت بجفاء: " لطالما

احببت لويس , ولكن اذا كنت ستسألني

عما اذا كان شعوره نحوي متبادلاً , فلا تقل

رجاء"

اجابها فوراً: " إذن , لن افعل طبعاً"

وبان الاعتذار في عينيه لأنه جعلها تضيف

التعليق الأخير , لمس يدها برفق , قائلاً: "

سامحيني لتطفلي على ماترينه اموراً خاصة,
ولكن عليّ ان اتأكد من حبك للسيد قبل
ان انفذ امنية ابيه الاخيرة "

امنية أبيه الأخيرة ؟ وبدا الفضول في عينيها ,
لكن الكاهن ابتعد متجهاً الى منضدة بجانب
الباب , وضع عليها حقيبة اوراق لم تلحظها
: " سأسلمك الآن شيئاً عليك الاعتناء به
سيدتي .. شيئاً اريد ان تعديني بأن تحرسيه
بحياتك ولا تسلميه لأحد.. "

جعلتها هذه الكلمات تشعر بالخوف فجأة ,
وقالت له : " اذا كان شيئاً يسبب الضرر
للويس , فابقه معك "
اجاب وهو يعود اليها ويده عدة دفاتر
صغيرة : " رغبتك في حمايته تستحق المديح .
هذه ستؤلم السيد لويس فعلاً إذا رآها . لكنه
مستثنى بالتأكيد من الوعد الذي اريد منك
القسم عليه . هل تقرئين الاسبانية كما
تحدثينها؟ "

اومات كارولين , منذ طفولتها وهي تمضي
اكثر عطلات الصيف في اسبانيا , مايعني ان
الاسبانية اصبحت لغتها الثانية .

- إذن , بعدما تقرأي هذه , اترك لك خيار
ان تطلعيه على ماهو مكتوب فيها .
واخذ يدنو منها , فأوشكت لخوفها ان تخبيئ
يديها خلف ظهرها , وكأنها لا تريد تسلمها .
ورأى هو ذلك في عينيها فتوقف وهو يقول
: " هذه يوميات والد السيد لويس , تركها في

عهدتي قبل ان يمرض بوقت طويل, إنها تفسر
السبب الذي جعله يورث السيد لويس كل
شيء ويورث السيد فيليب القليل, خذها
واقراها وافهميها .. لمصلحة لويس ,

ارجوك"

ثم ناولها إياها برزانة , فتقبلتها وهي كارهة ,
بأصابع باردة , ويقلب كأنه استحال الى
حجر. لم تعلم لماذا لم تفهم ما يتضمنه كل
هذا . لكنها تعلم ان هذه الدفاتر هي اشياء
مظلمة , وقالت تعده : " سأقرأها "

اوما الكاهن متفهماً التعبير البادي على
وجهها, ثم ارتد على عقبيه. وعندما وصل الى
الباب توقف ونظر الى الخلف فرآها تقف
حيث تركها وبين يديها الدفاتر , فتمتم
مفكراً: " أتعلمين يا آنسة ؟ اظنها مصادفة
غريبة انك تعرفت الى السيد لويس منذ سبعة
اعوام , لأنه , في ذلك الوقت تحديداً , وافق
على القدوم الى هنا ومقابلة ابيه لأول مرة,
ولكنه لم يلبث ان غير رأيه فجأة , اما سبب
هذا التغيير , كما قال , فهو انه تعرف الى

امرأة وسيتزوجها , كان حبه لها على ما يبدو ,
اهم لديه , حينذاك , من مقابلة ابيه . لكنه
وعد بأن يتزوجها في كنيسة فال دي لوس
الجلس حسب التقاليد , ويبدو انه سيفي
بوعده"

ابتسم , وقبل ان تعقب على هذه المعلومات
الجديدة ابتعد قائلاً: " اقرئي هذه اليوميات
وتعرفي الى هذا الرجل الذي احبك , بقدر ما
احبته انت على ما اظن "

بعد ذلك بساعات , تمت لو انها لم تقرأ
اليوميات , تمت لو ان اسرة فازكير بقيت
كما هي , بعيدة عن حياة لويس .
اخفت الدفاتر على سطح خزانة ثياب كبيرة
في غرفتها , ثم خرجت الى الحديقة في حر
الظهيرة حيث غرقت في افكار سوداء حافلة
بالآلام والغدر , والتضحية القاسية بطفل
بريء من اجل طفل آخر .

(التاريخ يعيد نفسه) هذا ما قاله فيليب ,

وكان لويس قد دعاه (ثار و ثراء) اما

كارولين فتسميه (ما لا يقبل الصفح) . لو
علم لويس نصف ما اكتشفته في هذه
اليوميات , لما كان غريباً ان يعزل نفسه
داخل حجاب غير مرئي منذ قدومه الى هنا .
فهذه الأسرة كانت سمّاً لكل من يلمسها ,
وهذا ما ذكرها بنصيحة زوج عمته الطبيب (
خذ معك من يتذوق الطعام) فقط كان هو
ايضاً يعلم ان هناك سمّاً في هذا المكان الرئع
الجمال .

الشيء الوحيد الجيد في هذه اليوميات , هو
إثبات قول الكاهن عن نية لويس نحوها منذ
سبعة اعوام, ولكن لهذه الحقيقة ايضاً جانبها
السام . ذلك انه اذا كان لويس قد احبها
حينذاك , لماذا كان يذهب يجرّ والدها الى
الإفلاس , ليلة بعد ليلة ؟

وعندما سمعت صوت الطوافة بهدر فوق
الجبل , تمننت لو بقي لويس بعيداً. فهي
ماتزال متكدرة ومشوشة جداً, وفي حاجة الى
مزيد من الوقت للتفكير , للاستيعاب,

والتصميم على مقدار ما ستخبره به ... هذا
إذا قررت ان تخبره بشيء على الاطلاق .
عندما حطت الطائرة على مطارها الممهدّ
حديثاً, وجدت نفسها واقفة هناك تنتظره,
وعندما وضع قدمه على الأرض اليابسة ,
عصف قلبها بمشاعر مختلفة لم تستطع التفريق
بينها.

بدا وهو مرتد بذلة عمل رصاصية اللون
وقميصاً ناصع البياض وربطة عنق فضية ,

واحداً من ملوك المال الحقيقي , من النبلاء

الحقيقيين .

والحقيقة ان من ينظر الى وجهه الأسمر

اللطيف المكثر المزهو , لا يصدق ابداً انه

امضى السنوات العشرين الأولى من حياته

يعيش عيشة الكفاف .

بدا كئيباً وكأنه اصبح يحمل فجأة كل هموم

العالم . كانت تعرف جيداً هذا الشعور , اذ

سبق ان عاشت مثله . هل هي مسؤولة هذا

المكان ؟ هل النحس المهلك بجماله يصيب

كل قادم الى هنا؟

فجأة شعرت انها بحاجة ماسة الى ان تكون

قريبة منه , كما شعرت بالحاجة الى الابتعاد

عن هذا المكان , ولو لمدة قصيرة , لكي

تفكر , لكي ترى الأمور بأبعادها الصحيحة

.

ماذا فعلت ؟ في اللحظة التي غادر فيها

الطائرة , سارت نحوه فما إن رآها حتى

توقف واخذ ينظر اليها وكأنه يرى حلم

حياته, ولكن سرعان ما اختفت هذه المشاعر
من عينيه كالعادة.

ولأنها بحاجة الى ذلك, طوقته بذراعيها وقبلته
بلهفة, لمست دهشته وتوتره, ومرة لحظة
هائلة ظنت فيها انه سيدفعها عنه, ثم طوقها
بذراعيه بشدة واخذ يعانقها بمثل لهفتها.
شعرت وكأنها وجدت نفسها بعد ضياعها في
مكان مظلم اياماً لا نهاية لها, مهما كان
بينهما, لم يكن يعني شيئاً, فهذا هو
الصحيح دوماً.

قطع العناق الذي ودت لو بقي الى الأبد,
ولكن عينيه السوداوين نظرتا اليها بعبوس,
متأملاً شحوبها الشديد الذي لم يبدده حتى
عناقهما هذا.

– ماذا حدث؟ ومن كدّرك؟

هزت رأسها: " لقد اشتقت اليك, وهذا كل
شيء .. افتقدتك اياماً, لكنك لم تلحظ
ذلك كما يبدو "

قال بخشونة : " بل لاحظت , فكرت فقط في
ان من الأفضل ان اتركك لنفسك فترة لكي
.. تعتادي على كل هذا .. "

- لا احتاج الى وقت لأعتاد عليه , لديّ مثله
في وطني إنكلترا , إذا كنت تذكر , لكنني
اعترف انه ليس بحجم هذا , ولكن .. يا
لويس ..

ولم تستطع إخفاء التوتر في صوتها : " هل
يمكننا الابتعاد من هنا لمدة قصيرة؟ نحن
الاثنين فقط , وفي مكان عادي ؟ هل يمكن

ان تأخذنا هذه الطائرة ولو لساعتين فقط ؟

ارجوك "

تنهد " انت لا تحبين هذا المكان "

- بل اعشقه .

أصّرت على ذلك , عالمة انها كذبة وانها هي

في هذه اللحظة بالذات تكره هذا الوادي

وكل شيء فيه .

- انا بحاجة فقط الى الابتعاد عنه لفترة

قصيرة , هل اطلب الكثير؟

- لا .

كان مايزال عابساً لأنه ادرك انها ستخبره
بالحقيقة الكاملة , أشار بيده الى الطيار
بطلب منه إبقاء المحرك دائراً.

– اين تريدون الذهاب ؟ الى ماريبيا؟ يمكننا ان
نكون هناك في ...

لكنها هزت رأسها : " هناك مكان صغير
اعرفه , مكان سري"

همست بذلك وعيناها تلمعان بالمشاعر :
هناك أنعم فراش في العالم , لا تكييف هواء ,
والحمام في آخر الردهة , وفيه أروع الملاءات

الباردة المنشأة على السرير ولن يكون هناك

اي وجه بارد..."

كان يحدق اليها وكأنه يقنع نفسه بأنها تلمح
الى ماتشعر به حقاً. وحبست كارولين انفاسها

منتظرة جوابه.

أهو القبول ام الرفض؟ لم تستطع التأكد ,

فهو يسخن ثم يبرد , يقدم ثم يتراجع ,

واشعرها صمته بالتوتر.

ثم رفع حاجبه والسخرية في عينيه : " هل هذه
هي طريقتك في التصرف كسيدة محترمة, في
دعوتك إياي لقضاء عطلة اسبوعية؟"
بدا لها وقحاً بتفسيره وهذا ما أهب وجنتيها
بجمرة الخجل , لكنها بادلته ابتسامته, قائلة
: " اظن ذلك, ولكن اذا كنت تفضل صحبة
اسرتك, فأنا مستعدة للوصول الى تسوية "
القي برأسه الى الخلف واخذ يضحك , وكان
هذا اجمل صوت سمعته منذ ايام وعم السرور

وهو يمسك بيدها عائداً بها الى الطائرة

ضاحكاً.

لم ير اي منهما اخاه وهو يراقبهما من بين
الأجمة , ولا رأى أي منهما ذلك الوميض
الخبث في عينيه وهو يراهما يستقلان الطائرة
ليحلقا بعيداً.

نزلا في ساحة مكشوفة خارج لوس امينوس
بالضبط ثم سارا الى داخل القرية يداً بيد.
لاحظت كارولين انهما ابدوا غريبي الشكل

فلويس في بذلة بالغة الأناقة فيما هي في تنورة

تبنية وبلوزة وردية.

كان صاحب الفندق نفسه موجوداً،

فاستدرت عيناه وهما يدخلان من الباب،

وعند رؤيته المبلغ الكبير من المال، نظر الى

لويس نظرة مليئة بالاحترام واحضر للزوجين

الشابين مفتاح الغرفة حيث السرير نفسه

بالضبط.

– وأنا ارتدي حتى الملابس نفسها.

همست كارولين بذلك الى لويس وهما
يصعدان السلم يداً بيد . فأضاف مازحاً :
والوردة الحمراء نفسها على كليتي وجنتيك"
وعمق لون الورد أكثر عندما ادركت جرأة ما
طلبتة.

لم يعودا تلك الليلة الى القصر , فقد ضاعا
في مشاعر لا قرار لها وكأن الواحد منهما لا
يرتوي من نبع الآخر .. او كأن حاجة
احدهما للآخر نهر لا يتوقف عن الجريان
ابداً. كانت تشعر بأنها استعادت حبيباً فقدته

ليس مرة فحسب بل مرتين . راودتها تلك
الأفكار وهي تتذكر تلك الأيام القليلة التي
احست فيها بالوحدة.

همست له إحدى اللحظات قائلة " انت
حي الحقيقي الأول "

خيبت نظرتة مسحة داكنة وهو يفتح جفنيه
الناعستين , ويقول : " ربما لن تصدقي كلامي
هذا , لكنك حي الحقيقي الأول ايضاً "
لكن لا ! لا يمكن ان تتقبل هذا الكلام , لأنه
لو احبها لما حاول ان يربح كل فلس من

عائلتها . جالت تلك الفكرة في رأسها
فأحست بحزن عميق ارادت ان تدفنه في
الحال , فأمسكت بلويس وأدنته منها في
عناق عنيف .

ربما شعر بحزنها , او لمح مسحة الحزن على
وجهها قبل ان تمحوها , لأن عناقهما تحول
الى إعصار من الأحاسيس الغنية , وجرفهما
معاً , ليلقي بها في بحر متلاطمة امواجه لم تغف
على شاطئه إلا بعد وقت طويل طويل .

وعندما قررت ان تفتح عينيها , وجدت
نفسها متوقعة قرب لويس , ورأسها يستريح
على كتفه , وبالليل يرخي سدوله.
قالت بدون ان يظهر عليها القلق : " لم تعلم
احداً برحيلنا "

اجاب : " ارسلت الطيار ليبرر غيابنا , سنعود
متى شئنا , عندها يمكنهم ان يتوقعوا حضورنا
"

بدا , بقوله هذا , متعجباً ومتسلطاً وسيداً
على الوادي , الى حد جعلها تضحك , فقال

لها : " هذه اول نبرة سرور حقيقي اسمعها

منك تقابلنا مجدداً "

زمت شفيتها باستياء : " وماذا كنت تتوقع ؟

وانت لم تفعل سوى تخويفي وابتزازي ؟ "

المفروض انها مزحة , لكن لويس لم يتسم ,

وبدلاً من ذلك بقيت عيناه تتفحصانها , ثم

قال بهدوء : " لم احضرك الى هنا , الليلة

بالتخويف "

- لا .

بل هي التي اخافته هذه المرة .

- هل انت مستعدة لتخبريني الآن عما
دعاك للرجبة في الهرب بهذا الشكل؟
إذن , فهو يعلم انها لم تكن تخبره بالحقيقة في
القصر . فخفضت نظراتها واخذت ترسم
بإصبعها دوائر على صدره , ثم قالت
بصراحة " استقبلت زائراً كاهن القرية "
جمد لويس في مكانه , ثم سأها بهدوء بالغ "
وبعد ذلك ؟ "
ابتسمت " اراد ان يعلم ما إذا كان زواجنا
مجرد تظاهر "

– هل هدد بعدم تزويجنا كنسياً؟

– لا, لقد أكد لي , في الواقع , انه اذا جاء

اليه الكونت وعروسه بجانبه مكممة ومقيدة ,

فهو سيزوجهما .

– لماذا جاء إذن؟

هنا السؤال الآن. وضحكت بأسى وهي تمرر

اصابعها في شعرها " لكي ينبهني الى شائعات

.. تدور في الوادي عن مقدار الإخلاص في

مشاعر احدنا اتجاه الآخر"

– شائعات ؟

اومات " نعم , يقولون إننا لم نتعارف إلا منذ

ايام قليلة"

– وماذا قلت له؟

لم تتحرك عضلة في وجهه , وأسوأ ما في لويس
هو قدرته على الكلام من دون ان يبدو على
وجهه اي تعبير بكشف مايفكر فيه .

– اخبرته ان هذه المعلومات غير دقيقة ,

وأنا تعارفنا منذ سبع سنوات , ثم كذبت

قليلاً واخبرته اني احبك منذ ذلك الحين ...

لكنها تذكرت انها , عندما قالت ذلك , لم
تشعر انها تكذب , بل هذه هي الحقيقة.

– وماذا قال بعد ذلك؟

نظرت اليه بجفاء " انت ماهر جداً في

الاستنطاق "

رفع حاجبه وبدا لها مغرياً جداً , وقالت "

الاستنطاق الأسباني . انت في الواقع تذكرني

بصنبور يقطر منه الماء , إنك تقطر الأسئلة

بثبات ومن دون هوادة حتى تعلم ماتريد "

كرر من دون ان تتغير نظرتة " ماذا قال ؟"
نظرت بعيداً وتنهدت , لأن الحقيقة افلتت
من زمامها . ثم هناك مشكلة اخرى اخذت
تقلقها منذ زيارة الكاهن .

- حاول على ما اظن ان ينبهنا الى ان ثمة
شخصاً بكيد لك . شخصاً يشيع في الوادي
أنا , انا و انت , شخصان مخادعان .. كي
لا يحترمنا احد الشائعة الأخرى هي انك
اشتريتني من أبي . و الآن , من يعلم بهذا
عدانا؟ أنا وأنت ؟

– أظنين اني كنت أنسج حكايات عنا؟
كان هذا قولاً سخيلاً ضحكت منه , وقالت
وهي تنتهد " ما يقلقني يا لويس ان هناك من
يتجسس علينا , ومجرد التفكير بهذا الموضوع
يجعلني أقشعر "

– الجاسوس في هذه القضية معروف , يا
عزيزتي , ونحن نعرف ايضاً ان لديه بعض
الحق في الشعور بالمرارة وهذه المرارة هي ما
جعلته ينشر شائعات قد تضعف مركزنا ,

والواقع اني سأسمح له ببعض السلوك
الأحمق.

كان يتحدث عن فيليب , فقالت موافقة "
لا بأس"

وتكومت بجانبه , شاعرة بحاجة الى قول المزيد
, لكنها خافت من ان يجرها الى قول الكثير

– لا بأس ؟ هذا كل شيء؟

قالت وهي تدسّ نفسها به : " هذا اجمل من
ان تفسده بالحديث عن الأشياء البشعة,
وعلى كل حال , في ذهني اهتمامات اخرى
كثيرة حالياً"

برقت عيناه , والتهكم الذي رآته في عينيه
جعل دمها يجري ساخناً. فقالت ساخرة "
التسوق . افكر في شراء ملابس جديدة , إذ
انك اختطفتني بملابس لا تكفيني اكثر من
ثلاثة ايام . اريد ثوباً ابيض غالي الثمن بكل

ملحقاته , فأنا اريد ان اظهر في الكنيسة

بأبهي حلة "

ضاقت عيناه قليلاً وكأنه يحاول ان يقرأ في

مقالته عودة الى المرارة الماضية .

ولكنه لم يقرأ شيئاً , وسرعان ما اخذها بين

ذراعيه .. وهذا ما كانت تفضله كثيراً على

الحديث.

مكثا في غرفة ذلك الفندق المظلم الحار

القديم الطراز طول الليل , وناما بين ذراعي

بعضهما بعضاً واستيقظا في الوضع نفسه.

وللمرة الأولى تستيقظ كارولين فتجده بجانبها
وقد ترك ذلك فيها تأثيراً مؤلماً.

في اليوم التالي سافرا الى قرطبة حيث اخذت
تسوق حتى كادت تسقط منهارة .

كانت متألقة , لعوباً.. وفتنت مرافقها ,

وعندما كان ينظر لويس اليها باستغراب ,

وكأنه يحاول ان يفهم ما الذي جعلها تتصرف

بهذا الشكل , كانت هي تبسم له فقط او

تقبله , او تطلب منه المزيد من المال , متجنبة

أي سؤال.

فكيف يمكنها ان توضح لشخص مثله انها
عرفت لويس فازكيز الحقيقي اخيراً بعد
قراءتها ليوميات ابيه ؟ إنها تفهمه الآن , وتتألم
لأجله , وتحبه حباً ماكانت لتتجرأ على
الشعور به .

وإن لم يحبها لويس بالمقدار الذي تحبه هي ,
فسيكفيها هذا القدر , فقط لأن الأمر
الآخر الذي عرفته من خلال قراءتها
لليوميات هي ان الحب لا يمكن ان يكون
متساوياً في قلبي حبيين .

10 - حق السيد

عندما عادا الى الوادي وجدا ان هناك بعض
التغيرات حدثت اثناء غيابهما, اذ زينت
الحديقة باضواء خفية كما نظف القصر
ومائدة الولايم شيدت في الردهة الرئيسية.
وما إن دخلا حتى جاءهما صوت فيليب
المتكاسل " اراكما تهربان من كل المتاعب "

هذه عادته , بهذا فكرت كارولين وهي تقترب
خطوة من لويس الذي امسك بيدها , بينما
تابع فيليب ساخراً " على العروسين ألا يهملتا
تفاصيل العرس.. عليهما ألا يهملتا زينة
الاحتفال "

كان تهكمه لاذعاً , وتمنت كارولين لو تضربه
لكلامه اللئيم , لكن لويس قال باسماً من
دون اهتمام " إن الفندقية في دمي , فإن كان
هناك ما أحسنه , فهو إقامة الحفلات "

– ويساعدك في الاحتفال الأهل والأقارب

المجتمعون حولك. ما أغرب ماتدفع العلاوة

السنوية الناس الى القيام بأشياء ما كانوا

يقومون بها في العادة.

سأله لويس بفضول " هل هذا هو السبب في

تسكعك هنا وهناك فيليب ؟ لكي تؤمن

علاوتك السنوية ؟"

قال " لديّ اموالي الخاصة "

ولكن لويس اصاب منه عصباً حساساً بقوله

ذاك.

- لم يجرمني أبي من كل شيء.

- لا, بل ترك لك ارضاً في نيفادا و الوسائل

التي تمكنك من النجاح في استغلالها , هذا

اذا ازعجت نفسك بالمحاولة.

- بينما انت حصلت على كل ... هذا...

وارتسمت على فم فيليب ابتسامة كريهة , ثم

التفت الى كارولين فجأة " اخبريني.. "

شعرت بأنه حان دورها لتلقى لسع لسانه

القدر , وقال : " كيف انتهت اللعبة بين

أبيك ولويس ؟ كان هناك أناس كثيرون لابد

انهم كانوا متلهفين لمعرفة النتيجة"

كان هناك في الكازينو عندما تحدى لويس
أباها , بهذا فكرت كارولين ووجهها يشحب ,
ثم التوت يدها في يد لويس بتوسل صامت
لكي يجيب عنها .

شدد قبضته قليلاً , لكنه ادهشها عندما لم
يقبل شيئاً بل رفع يده الأخرى واذا بفيتو يمثل
امامهم فجأة , ضخماً عريض المكنكين , ذا

بنية تسحق الصخر , وانتظر ان يكلمه

لويس .

وقال له هذا الاخير من دون ان يحول نظره

عن فيليب " اصحب كارولين الى غرفتها , يا

فيتو , وابق هناك حتى احضر .. "

اقشعر جسم كارولين لأنها شعرت بأنه يريد

ان يوجه الى فيليب نوعاً من الإنذار الرهيب

, وكان وجود حارسه الخاص كافياً لجعلها

تلوذ بالصمت , ترك لويس يدها وهو يقول

بهدوء" اذهبي مع فيتو لدينا أنا وفيليب اشياء

علينا ان نتحدث عنها على انفراد..."

ذهبت , لكنها شعرت بالغثيان , لم تنظر الى

الخلف , لكنها استطاعت ان تشعر تقريباً

بالرجلين وكل واحد منهما يقوم حجم الآخر

وكأنما يستعدان المعركة.

همست لفيتو " ماذا سيحدث؟"

اجاب ببساطة " سيتحدثان , كما قال

لويس"

قالت وهي تقترب قليلاً من هذا الرجل

الأشبه ببرج ضخمة " إنه لا يعجبني "

– قليل من الناس من يعجبهم .

وكان هذا كل ما اجاب به , ولكن ما قاله

بدا وافياً , ادرك كل من لويس وفيتو

شخصية فيليب , فإذا كان فيليب قد حقق

في امرهما , فهما ايضاً قاما بالشيء نفسه .

لم يتركها فيتو بمفردها حتى عندما ذهبت الى

الحمام , وعندما عادت وجدته واقفاً بجانب

الباب , سألته " هل تعرف لويس منذ وقت

طويل ؟ "

اجاب " منذ كنا في التاسعة , نحن الاثنين "

وفكرت ان هذا يعني انهما كانا في ملجأ

الأيتام معاً .

– إذن فأنتما صديقان .

وابتسمت وهي تتذكر افكارها عندما كانت

مع لويس في السيارة وفيتو يقودها .

قال : " لقد انقذ حياتي مرة "

ولم يزد, على الرغم من ان كارولين حدقت
اليه بعدم تصديق لأنها لم تستطيع ان تتصور
ان على أي شخص ان ينقذ حياة هذا
الإنسان . فقد كان من الضخامة بحيث لا
يمكن ان يتعرض لمثل ذلك الخطر.
عند ذلك بدأت المشتريات التي ابتاعها
تصل , فتحول انتباهها عن فيتو , وبعد
ذلك بدقائق جاء لويس , وهمس كلمة هادئة
لفيتو ثم صرفه فذهب وهو يومئ متجهماً ,
ما جعل كارولين ترتجف , وعندما انفردت به

سألته : " لماذا الحاجة الى حارس خاص؟ هل

انا عرضة لخطر ما؟"

- لا , هذا غير وارد مادمت حياً ازرق .

- إذن , فأنت هو المعرض للخطر .

- لا احد هنا معرض للخطر .

فقلت بعناد : " لماذا الحارس إذن؟"

- إنه مرافق , وقد ارسلته ليرافقك الى هناك

إثباتاً لذلك , هل اقتنعت ؟

لا , لم تقتنع , وبدا ذلك على وجهها , فقال

متنهدا " لا بأس , اشعر ان فيليب يريد

القيام بشيء ما , وهذا واضح , ولكن ما
مدى النجاح الذي سيحرزه , فهذا ما لست
واثقاً منه , ولهذا انا احرس نقاط ضعفي ."

– وانا نقطة ضعف؟

ابتسم فجأة بكسل متمماً بإغراء " آه , نقطة

ضعيفة للغاية"

واخذ يقترّب منها , فرفعت يدها توقفه عند
حده وقالت " اريد منك ان تحترمني يا كونت

"

توقف , فغالبت هي خيبة أملها لئلا تظهر ,

لكن لويس رآها على كل حال فقال

بابتسامة عريضة " إذا لمستك الآن

فستصبحين دخاناً "

- نعم , إذا لمستني .

- لهذا لن ألمسك .

" آه " قالت ذلك من دون ان تحاول إخفاء

خيبة أملها هذه المرة .

- شكراً لأنك ذكرتني بأن عليّ ان احترم

الكونتيسة .

في الساعات الأربع والعشرين الماضية تغيرت
وعلى ما يبدو انه هو ايضاً تغير . إذ تبدد
الكثير من التوتر الذي تملكه عند حضوره الى
الوادي . يبدو الآن رجلاً رائعاً ساحراً,
كسولاً مسترخياً عاطفياً خصوصاً عندما
ينفردان .

هذا الاستنتاج جعلها ترمي بين ذراعيه قائلة
" خذ قبلة واحدة عفيفة إذن "

فطوقها بذراعيه قائلاً بسخرية " عفيفة ؟ "

اجابت " نعم "

ولكن لم يكن ثمة عفة في طريقة وقوفهما

وتأوه قائلاً " عليّ ان أذهب "

– تذهب؟ الى اين؟

– الى العمل.

ونظر الى ساعته , وعاد فجأة الى شخصية

رجل الأعمال.

– عليّ إنجاز اشياء قبل الاحتفال وعليّ

الخروج من الوادي قبل ان يشتد الظلام.

– لكننا وصلنا لتونا!

- لا تلوميني . انت من أعاق منهاجي
العملي لمدة اربع وعشرين ساعة . واعترف
بأنها اربع وعشرون ساعة لذيدة جدا , ولهذا
عليّ ان اعوض ما فاتني , لن تريني مرة
اخرى إلا في الكنيسة .

وعندما اتجه نحو الباب , صرخت به بلهفة "
لويس! ماذا عن نقطة ضعفك؟"

- فيتو سيبقى هنا , اذهبي اليه عند الحاجة .

- لأنه مدين لك بحياته ويفعل اي شيء

لأجلك؟

منعه هذا عن السير, والتفت اليها بدهشة
وذ هول " هل تمكنت من جعله يخبرك بهذا ؟
حسناً , إنها البداية "

- وماذا فعلت ؟ هل سحبتة من بين اشتباك
الأمواس التي تركت كل تلك الآثار على
وجهه؟

- لا .

فجأة تلاشت ابتسامته " سحبتة من السجن
ومنحته عملاً يعيش منه , ولم يكن ذلك
سهلاً , فتمتت نادمة " آسفة "

فأوماً يقول " الى اللقاء يوم الاربعاء "

سيذهب .. لكنها لم تشأ ذلك بعد هذا

التلاسن.

- انا احبه , في الواقع , لوفائه لك . لم تعلم

حتى ان فيليب يقيم في فندقك , أليس

كذلك ؟

سألته هذا مغيرة الموضوع تماماً , فقال لويس

" لقد دخل الفندق باسم مختلف "

قالت مقطبة " واخذ يتعقبنا , أنا و أبي ,
عرف من أكون ومن هو أبي , وهذا يريك ان
هناك جاسوساً في وسطكم , يا لويس "

فأوماً يقول " انا منتبه لهذا , وأقوم بما ينبغي "

- وهل أبي نقطة ضعف اخرى ؟

التفت اليها متفحصا , ثم اجاب بهدوء " نعم "

"

تنهدت وعاد القلق يبدو عليها .

- وهل تحرسه هو ايضاً؟

- من دون شك هو ايضاً؟

- من دون شك .

طمأنها بلهجة غريبة تماثل التعبير الغريب

الذي بدا على وجهه.

- سيكون هنا , آمناً معافى , لكي يسلمني

إياك وقت الاحتفال , لا تخافي من هذه

الناحية , يا حبيتي.

ثم رحل , تاركاً كارولين واقفة تحديق في اثره ,

متسائلة عما يجعلها تشعر بهذه البرودة في

كيانها على الرغم من كلماته المطمئنة؟

نبهها من افكارها طرق على الباب , فتحتة
لتجد الخادمة أبريل على العتبة .

– أرسلني الدون لويس لأساعدك في تنظيم
أمتعتك .

سرهما هذا الإلهاء , يبدو ان لا أحد في هذا
الوادي قد يبقى سعيداً مدة طويلة. واخذت
مع الخادمة تفتح علبة بعد علبة عليها اسماء
محلات لم تكن كارولين تحلم بالشراء من مثلها
, وعندما وصلتا الى الثوب الابيض , فتحت

الفتاتان العلبة معاً ليخطف منهما الأنفاس

وهما تريانه معلقاً في الخزانة.

تتهدت الخادمة بشوق " ما أروعه !"

وافقتها كارولين باسمة وهي تتذكر كيف

ارسلت لويس الى الخارج المحل ليتناول فنجان

قهوة حتى يتسنى لها اختيار الثوب بنفسها .

وخرج ساخراً متكاسلاً لكنها اشتبهت في انه

احب فكرة ان تختار ثوباً الهدف منه ان يشعر

هو بالسرور.

وكانت تتلمس التخريم الناعم بخفة عندما
خطرت فكرة ببال كارولين للمرة الاولى .
لكنها خطرت ببالها الآن فجأة بعدما فات
الوقت , تقريبا , للقيام بشيء بهذا الشأن ,
وهو انه لن يكون لديها صديقات يساعدها
في ارتداء هذا الثوب , او حتى واحدة تقف
بجانبها شاهدة بصفتها وصيفة العروس .
لكن يبدو ان لويس فازكينز الذي لا يفوته
شيء من التفاصيل قد فاته هذا الأمر
البسيط .

- أبريل , هل لك ان تقومي بخدمة لي ,

خدمة خاصة جداً؟

- طبعاً سيدتي .

اجابت الخادمة بذلك على الفور .

- اذا استطعت انا شراء ثوب جميل لك في

الوقت المناسب , فهل تكونين وصيفتي؟

مضت لحظت ظنت فيها انها افزعت الفتاة

المسكينة , لأنها بقيت جامدة صامتة ثم

قالت بصوت خافت " آه سيدتي , هل تعنين

هذا حقاً؟"

- نعم , أعني هذا , لا بد انك لاحظت انني
هنا وحدي , فأهلي وصديقاتي كلهم في
انكلترا , ومع ان ابي سيحضر إلا انه سيكون
بمفرده , ألا تظنين ان الأفضل ان تقف معي
فتاة من الوادي؟

اجابت الفتاة برزانة " هذا يشرفني , ولكن
عليّ ان استأذن الدونا كونسويلا قبل ان
اوافق تماماً "

- طبعاً .

اجابتها كارولين على الفور, من دون ان
ترجع نفسها بالقول إن عليها , في الواقع ,
ان تأخذ الإذن منها.

بدت الراحة على أبريل وكارولين وهي تقول
" سأذهب لأسألها الآن بينما تنهين انت هذا
هنا "

يجب ضرب الحديد وهو ساخن , حدثت
نفسها بذلك مشجعة وهي تبحث عن حالة
لويس. لكنها بدأت تتمنى لو انها لم تفعل.

وجدت الدونا كونسويلا في غرفة الاستقبال
الرئيسية واقفة تحديق من النافذة , كان في
وضعها هذا من الحزن و الوحدة والوحشة ما
مس قلب كارولين على رغم معرفتها بدور
هذه المرأة في تدمير حياة لويس " كونسويلا "
لم تشعر المرأة بكارولين عندما دخلت , فقد
كانت تائهة في تأملاتها الكئيبة , لكنها
التفت الى كارولين وملاحظها هادئة ناعمة
كالعادة , وهذا ما جعل كارولين تفكر بأسى ,

إنها تشبه لويس , ثم قالت بحذر " هل تمنعين

إذا سألتك النصيحة بالنسبة لأمر ما "

لم تعلم ما الذي جعلها تغير سؤالها من طلب

مهدب , الى طلب رقيق , إلا اذا كان السبب

هو شبه كونسويلا بلويس عندما يخفي آلامه .

واجابت المرأة " طبعاً , اذا كنت تظنين

نصيحتي مفيدة "

اخذت كارولين نفساً عميقاً , ثم شرحت لها ما

تريد ولماذا تريده , واستمعت كونسويلا اليها

بوجه جامد , وكانت مفاجأة عندما ابتسمت

المراة بكآبة وقالت " انت طيبة , وما يخفف
عني ان أعلم انني سأترك الوادي في رعاية
فتاة حساسة مثلك "

فقالا كارولين على الفور مدافعة , لأنها لم
تكن تنتظر الرضا من هذه المراة بذات ,
ولهذا كانت تبحث عن انتقاد خفي منها "
ولويس يهتم ايضا "

فاستحالت ابتسامة المراة الى الجفاء " أعلم
هذا , نعم ستكون بادرة جيدة جدا منك اذا
اتخذت أبريل وصيفة لك . سيحبك الناس في

الوادي كثيراً لهذا العمل, باركي الصغيرة
باسمي واخبريها انها في عطلة الآن من كل
عملها المنزلي لتفرغ لك ولدورها البهيج "
تمت كارولين لو تسألها عما ستفعله هي ؟
هل ستستمر في الذبول في ظلال هذا المنزل
الذي كان بيتها سنوات طويلة؟ واندفعت
تسألها بتهور " ماذا ستفعلين عندما ترحلين من
هنا؟ "

عادت الابتسامة الى الجفاء " إذن , لويس
يريد ان ينفيني من هنا ؟ كنت اتساءل "

تملك كارولين ذعر بالغ لتطرقها دون قصد
موضوعاً ما كان ينبغي لها ان تأتي على ذكره ,
فأجابت باستغراب " لا ادري , لويس لا
يتحدث معي عن أسرته "
- لا , لا اظنه يفعل ذلك.

تمت الكونتيسة بذلك , ثم استدارت الى
النافذة , وكان هذا يعني النبد لأي إنسان ,
فكان ان خرجت كارولين , شاعرة بالمدلة ,
من دون ان تجرؤ على التلفظ بكلمة اخرى .

ذهبت بعد ذلك تبحث عن فيتو فوجدته في
الحديقة ينظر الى تشييد مشروع باحة خشبية
للرقص تحت مظلة كبيرة مخططة.

- فيتو.

ولمست ذراعه تسترعي انتباهه وعلى الفور
عادت فسحبت اصابعها وكأنها لمست صخراً
صلداً.

- أتظن ان لويس سيمانع ان استعملت
طوافته ؟

ارتد اليها بخفة كبيرة بالنسبة الى رجل بحجمه
ما اجفلها , وسألها بجدة " لماذا ؟ لماذا تريدان
الطائرة ؟ ماذا حدث؟ "

- لا شيء .

كانت مطمئنه , ولكن عينيه اخذتا تدوران في
كل الاتجاهات , وبدا وكأن قامته طالت عدة
إنشات , فقالت " انا بحاجة الى الطائرة
لمهمة قصيرة , مهمة خاصة "

ثم تابعت الشرح .

كانت على وشك الانتهاء من طعام الفطور
صبيحة الاحتفال , عندما وصل ابوها في
طوافة لويس , وفي اللحظة التي رآته فيها ينزل
, نهضت واخذت تركض الى الخارج في
الشمس به في منتصف الفناء .

- آه , يا أبي .

شهقت وهي تلقي بنفسها في احضانه , كيف
تتركني بذلك الشكل؟

- لا تبكي يا كاورلين , أنا بخير .

قال ذلك بضيق عندما اخذت تنظر اليه
لتطمئن الى صحته , فقالت وهي ترى ما طراً
عليه من التغيير وإن لم يلاحظه هو " لا يبدو
عليك ذلك "

تأوهت بحزن وهي تراه يبدو أكبر سناً وأكثر
هزالاً , فقال وكأنه يريد تغيير الموضوع.
- ياله من مكان , لم أر مثله قط! الطيران
فوق قمة ذلك الجبل خطف انفاسي , هل
كنت تعلمين منذ سبعة اعوام ان لويس
الوريث لكل هذا ؟

- لا .

حاولت ان تنظر في عينيه , لكنه لم يسمح لها
بذلك . كما كانت يداه تبعداها عنه , وكانت
تتابع قائلاً " ولو عرفت ذلك لما غير هذا
شعوري نحوه , هل لك ان تنظر اليّ ,
ارجوك؟ "

نظر اليها فرأت في عينيه شعور الذنب و
الحزي والتعاسة , فاغرورقت عيناها بالدموع
, وقالت بصوت مختنق " احبك كثيراً يا أبي ,
وكنت قلقة عليك كثيراً "

لم يعد يحتمل , إذ تأوه ثم طوقها بين ذراعيه
وهو يسألها بخشونة " وهو ؟ هل تحبينه؟"
اجابت " احبه كما أحب نفسي , والحقيقة
انني احبته دوماً , وكنت تعلم هذا"
- نعم , دوماً , لكنني ما زلت آسفاً لأنني
اوقعتك في هذه الورطة المخيفة .
وحين نظر اليها غير مصدق , قالت " هذه
ليست بورطة يا أبي , فلويس هو من أريد ,
وطالما أردته"

قال عابساً " ولكن ليس ان نقدمك اليه

على طبق كأضحية لعينة "

- لست أضحية , أم لعلك تعني ضمناً ان

لويس لا يبادلني أي شعور ؟ اذا كنت تظن

ذلك فعد من حيث اتيت.

قالت ذلك بغضب شديد , فعاد يتأوه "

قولي لا يتضمن شيئاً يا إلهي ! لقد جاهد

الرجل مرتين جهاداً كبير في سبيل الوصول

اليك... "

شعرت كارولين بالبرودة تسري في جسمها :

- مرتين ؟ ماذا تعني بقولك , مرتين ؟
وحول عينيه عنها " لا شيء .. حسناً , هل

لك ان تنظري هناك ؟"

ثم هتف بدهشة محولاً انتباهها الى بقعة كان
ينظر اليها قرب مدخل القصر .

- ما الذي يفعله هنا ؟ لم يخبرني قط انه

يعرف لويس .

لم يخبرني قط ..

كررت كارولين لنفسها هذه الكلمات وهي

تلتفت الى فيليب , الآن بدأت اشياء كثيرة

تتضح لها , كان أبوها هو الجاسوس على

لويس , وإنما دون علم منه .

اواه , يا أبي ! اخذت تفكر متأوهة , وعندما

تحول ليذهب الى فيليب منعه " حذار منه يا

بابا "

ومجرد استعمالها الهادي لاسمه كما اعتادت في

طفولتها , كان كافياً لينبه السير إدوارد "

راقب كل كلمة تقولها له , واحترس جيداً "

قطب جبينه " لماذا ؟ ومن يكون ؟ "

– انه أخ لويس غير الشقيق , الرجل الذي
يعتقد انه كان يجب ان يرث هو كل هذا ...
تبلجت له الحقيقة بالسرعة التي تبلجت بها
لابنته , واطلق شتيمة خافتة .

عند ذلك ارتفعت الطوافة فجعل صوت
المحرك الذي ملأ الجو كلماته غير مسموعة .
ويبدو ان أباهما اختار الوقت الذي اتخذته
الطوافة لكي تكتسح الوادي , لكي يصل
الى قرار , فقال بهدوء " فلنذهب الى مكان

يمكننا التحدث فيه على انفراد , لدي ما

أريد ان اقوله لك"

ارادت كارولين ان ترى لويس . كانت بحاجة
ماسة الى ذلك , لكن إجراءات الاحتفال
كانت تسير بسرعة فائقة , وكانت تفترض ان
لويس بانتظارها الآن في الكنيسة الصغيرة في
وسط القرية حيث اجتمعت اسرة فازكينز
بأكملها لمشاهدة هذا الحدث .

– تبدين رائعة الجمال سنيورا .

حول صوت ابريل الرقيق عيني كارولين
القلقتين الى المرأة التي كانت واقفة امامها .
كان الثوب العاجي اللون الذي يصل الى
كاحليها , مصنوعاً من الكريب . كان يضيق
على اضلاعها وينفتح على صدرها وقليل من
كتفيها تحت كميتها القصيرين وكان نقابها
الطويل مجموعاً على رأسها بتاج صغير من
الماس . كل شيء فيها كان يوحي بالبساطة ..
ملابسها واسلوبها في التصرف .

و لويس .. حدثت عينيها البفسجيتين من
خلال المرأة . انت على وشك ان تتزوجي
دينياً بلويس , وهو زواج لا تنفصم عراه.
ولكن لماذا وافق هو على الزواج الكنسي
وهو يعلم مدى سوء ظنها به منذ سبع
سنوات , فهذا الزواج لا يحل بالطلاق.
لم يقل لويس قط إنه يريد الزواج بها , بل
قال إنه بحاجة الى الزواج بامرأة .. هذا ما
راحت تذكر عينيها البنفسجيتين القلقتين
هاتين به , وكل ما كنت تفعلينه في الايام

الآخرة هو الادعاء بأنه تزوجك عن حب ,
ولكنك تعلمين انه قد يتعد عنك ما إن يحقق
الشروط القانونية لوصية أبيه .

فهل يكتمل انتقامه ! بأن يهجر كما هجرته
انت منذ سبعة اعوام . اوشكت على التقيؤ
.. ارادت ان تخرج الى الحمام لكي تفرغ ما في
جوفها . كانت تعرف لويس , وتعرف ما يمكن
ان يقوم به , وتذكرت فجأة صورة العقب في

مكتبه , تصورته امامها الآن , يزحف على
المرآة وكأنه مستعد للسعها .

– سنيورا .

ودا الاهتمام في صوت رقيقة ساعدها ,
الأصابع صغيرة سمراء على بشرتها هي
الناصعة البياض , وتمت الخادمة الصغيرة
بقلق " انت ترتجفين , هل انت خائفة يا
سنيوريتا؟ ارجوك , لا تخافي الدون انجلس
الذي كان رجلاً طيباً هو ايضاً .. رجلاً قوياً "

فجاهدت كارولين لكي تهمس " انا بخير ..

فقط .. "

وعادت ترتجف وكأن حشرة سامة تزحف
على جلدها . حاولت ان تستجمع شتات
نفسها , نظرت الى وصيفتها الصغيرة , التي
كانت تقف الى جانبها في ثوب عذاري ابيض
بسيط . كانت تبدو فاتنة بشعرها الأسود
وبشرتها السمراء الرائعة وعينيها السوداوين
الشبيهتين بعيني غزال . وعادت تطمئنها "
انا بخير "

واستطاعت ان تبسم .

ناولت أبريل العروس باقة الزهور البيضاء التي
اقتطفتها منذ ساعة فقط من الحديقة ونسقتها
بنفسها .

كان ابوها يذرع الردهة الفسيحة بقلق ,
وعندما رآها , وقف جامداً واخذ ينظر اليها
تنزل السلم نحوه , ثم تتم يقول " يا لله , يا
كارولين "

وكان هذا كل شيء لأن البقية كانت مكتوبة
في عينيه.

دهشت عندما وجدت انه ليس فيتو من
سيقود السيارة الى الكنيسة . اجفلت ,
فنادراً ما كان فيتو يفارقها , ولكن هذه المرة
كان سائق سيارة لويس السوداء رجلاً غريباً,
ولم تكتشف السبب الذي جعل فيتو يتخلى
عنها إلا بعد ان ان دخلت الكنيسة مع
والدها.

ذلك ان فيتو كان يقف الى جانب لويس
فاغرورقت عيناها بالدموع عندما رأته واقفاً
ببذلته الرسمية السوداء منخفض الرأس ينتظر
وقد بدا عليه التوتر, فكادت تشهق من فرط
السعادة , فهذا التوتر يعني ان هذه اللحظة
مهمة له كما هي مهمة لها .

سرت حركة بين الجالسين وهم يتحولون
للنظر اليها , وهذه الحركة جعلته يرفع رأسه
, التفت ينظر اليها .. وكان هذا آخر شيء
تذكرته من معظم الطقس الكنسي الطويل ,

لأنه مامن رجل ينظر الى امرأة بهذا الشكل
إلا اذا كان يريد لها حقاً طوال العمر .. حتى
إن يده وهو يتسلمها من أبيها كانت ترتجف
قليلاً.

تبادلا عهد الزواج في جو ساكن حبس
الحاضرون انفسهم , ولكن عندما ألبسها
لويس خاتماً في إصبعها , طرفت بعينها وهي
ترى خاتماً بسيطاً , ولكن رائعاً , من الماس
بجانب المحبس الذهبي الدقيق الصنع , الذي
وضعه في يدها يوم تزوجا مدنياً.

رفعت بصرها الى عينيه السوداوين اللتين
تدفقت منهما المشاعر , فلما رأى الدموع في
عينها انحنى هامساً بخشونة " إياك ... "
وأى اعتراض منها سيكون فيه دمار كل شيء
! ثم تكلم الكاهن " اذا وضعت الخاتم في
إصبع الدون لويس يمكننا ان نتابع .. "
في الخارج , في اشعة الشمس احتشد
القرويون ليصفقوا ويهللوا لهما وهما يخرجان
من الكنيسة وتعلقت هي بذراعه وكأن ما
يجمعهما هو أكثر من الزواج .

كانت باسمه متوردة الوجه خجلاً , ورأت فيتو
واقفاً كالجبل بجانب أبريل الضئيلة الجسم ,
وكان اباه رزينا متوتراً , ولم تنس حتى الحالة
كونسويلا التي وقفت هادئة منتصبة الجسم ,
تتابع كل هذا أشبه بشهيدة تنظر الى مصيرها
المحتوم.

لكن لم يظهر لفيليب أثر , ولا هو جاء
ليجلس معهم الى المائدة التي مدت بغطائها

الأبيض وبأنواع من الأطباق الصينية الطراز
و الفضيّات التي بدت وكأنها من المتحف .
لم تستطع ان تسحب يدها من يد لويس منذ
قبض عليها بقوة كما هو مفروض في البداية
, حتى الآن , وبعد ان جلسا الى المائدة ,
اخذ كل منهما يأكل بيد واحدة , بينما
اصابعهما المشتبكة مسندة الى المائدة بينهما
.

قالت له بعد ان ان وقع نظرها على الخاتم
الماسي " شكراً لهذا , إنه جميل "

- سرني انه اعجبك.

- حسناً , شكراً , لقد اكمل هذا الخاتم كل

شيء.

- لا.

رفعت بصرها فرأت في عينيه نظرة ادراة

رأسها " انت التي تكملين كل شيء " ثم

عانقها برقة .

اخذ المجتمعون يصفقون , قاطعين بذلك

عناقاً في منتهى الكمال.

في الوقت الذي تركا فيه المائدة , كانت
الشمس قد غربت والحديقة تألقت بالأضواء
, اخذها لويس بين ذراعيه ودار بها في باحة
الرقص , يرقصان على موسيقى الفالس , إنها
المرّة الأولى التي يرقصان فيها منذ سبع
سنوات , وهذا جعل شرارة كهربائية تسري
بينهما .

إحتك فمه بجذعها , متمتماً بصوت اجش "
لهف قلبي شوقاً اليك وانت تتقدمين نحوي في
الكنيسة "

وعندما مالت برأسها الى الخلف لتنظر اليه ,
كانت النجوم في عينيها , لكن لوئها شحب
قليلاً عندما تذكرت ماكانت تشعر بها سابقاً,
والأهم من ذلك , لماذا كانت تشعر به.

وقالت بصوت أبح " كنت اتحدث الى ابي ,
وقد اخبرني بماحدث حقاً منذ سبعة اعوام ,
أنا ... "

واذا بلويس يتحول فجأة الى رجل مختلف
تماماً , وعندما رأت ذلك , سكتت , واخذت

ترقب نظراته التي تصلبت وتحولت عنها الى

الحديقة.

– لويس.

فقاطعها " لا , لقد غضبت منه لأنه اخلف

وعده لي واخبرك بكل ذلك. وغضبت منك

لأنك من بين كل الليالي اخترت هذه الليلة

لتحدثني عن ذلك "

ولكن كان لا بد لها من ان تكمل " لكنك لم

تأخذ منه قرشاً واحداً , فأنت كنت تلاعبه

لتمنعه من المقامرة مع الآخرين , وما فعلت

ذلك إلا لأنك تعلم مقدار قلقي عليه ،
فكان ان اخذت على عاتقك ان تحميه من
الخطر ! انا مدينة لك بالكثير لهذا ، يا
لويس!

كان وجهه شاحباً ، وشفته متوترتين واسنانه
تصّر خلفهما وقال بخشونة " لست مدينة لي
بشيء "

– بل مدينة لك بالاعتذار .

قالت ذلك واخذت ترتجف بين ذراعيه وقد
تفجر كل شعور بالذنب في داخلها .

- كنت احبك , ولهذا كان ينبغي لي ان أعلم
انك لا يمكن ان تقوم بعمل غبي كأن تفلس
أبيّ لكنني صدقته بدلاً من ان اصدقك ,
وعندما علمت المدى الذي وصل اليه كذبة !
لم اعد ألومك .

- دعي عنك ذلك يا كارولين قبل ان
اغضب .

لكنه كان غاضباً فعلاً .

- لقد تركته يربح الألوف منك , ألوف
الجنيهاً التي اخبرني حينذاك بأنك كسبتها

منه ! ولا عجب في انه كان متلهفاً الى اللعب
معك في الأسبوع الماضي, كان يعتقد حقاً انه
سيعود الى الربح منك بسهولة .

قالت ذلك بمرارة بالغة , فاجفل وكأنها
صفعته بقوة , فتأوهت " لم أكن اريدك ان
تغضب "

ورفعت يدها تمر بها على وجنته معتذارة "
لويس... "

قال " لا , لن نتحدث عن هذا, لا الآن ولا
في اي وقت آخر , هل تفهمين ؟ "

وامسك يدها وابعدھا عن وجهه, وتراجع الى الخلف , و ارتد مبتعداً.

من حسن الحظ ان الموسيقى توقفت في تلك اللحظة , إنها موهبة لويس في التوقيت . حل زوج عمته مكانه . وبعد ذلك لم تره كارولين وهي تنتقل في باحة الرقص , بين أذرع اقربائه , من واحد لآخر , وعندما استطاعت اخيراً ان تهرب من الرقص لكي تبحث عنه , كان المكان خلف الأضواء

الخفية مظلماً, والقصر يسبح في بحيرة من
الأضواء.

لم تجده بين الناس في الحديقة , ولهذا ذهبت
لتبحث عنه في الداخل , وكانت تجتاز الردهة
عندما تقدم نادل منها .

– المعذرة يا كونتسية , لكن الكونت ارسلني
بخبير لك .

آه , وشعرت بالراحة وسألته بلهفة " اين هو
؟"

- طلب ان تلاقيه في السيارة , بعد الجدار

الفاصل مباشرة , من فضلك .

في السيارة ؟ ماذا سنفعل الآن ؟ اخذت

تتساءل وهي تخرج من المنزل وتتوجه الى

طريق السيارات حيث كل السيارات متوقفة

خارج الجدار المحيط بالقصر , هل سيخطفها

مرة اخرى الى مكان آخر؟

حسناً , ربما لدى لويس مفاجأة . اخذت

تفكر في ذلك بابتسامة بددت القلق من

نفسها .

كانت السيارة مجرد سيارة سوداء ضخمة بين
كثيرات , لكنها سرعان ما وجدتها لأن
محركها كان دائراً, ولمحت خيال لويس خلف
عجلة القيادة قبل ان تفتح باب المقعد بجانبه
وتصعد الى الداخل .

- هذا سريّ لدرجة مثيرة , لويس .

قالت هذا مازحة وهي تلملم اطراف ثوبها
ونقابها الى الداخل قبل ان تغلق الباب .

- لكن هذا لم يعد ضرورياً حقاً .

وانغلق الباب , وانطلقت بهما السيارة ,
وقالت وهي تلتفت نحوه تلوح له بيدها "
اتعرف ... "

همدت الكلمات اولاً ثم قلبها الذي ما لبث
ان عاد يخفق بعنف شعرت معه بالغثيان ,
وعندما اندفعت نحو مقبض الباب , انقفل
هذا آلياً وفي هذا الوقت التفت فيليب اليها
قائلاً بابتسامة عريضة كسول ولهجة مطاظة "
هذا حق السيد .. إنها تقاليد .. "

11- رحيل الماضي

اول ما فكرت فيه كارولين هو ان تنظر حولها لترى إن كان رأهما احد وهما ينطلقان بسرعة , ولكن لم يكن هناك غيرهما في هذه الناحية من الجدار.

- هذا غباء يا فيليب, لا ادري ما الذي سنستفيدة من هذا.

قالت هذا محاولة السيطرة على خوفها ,
فأجاب " الرضاء "

ثم انعطف الى اليمين, وبدلاً من سلوك
الطريق الذي يتخلل القرية , اخذ يسير
بسرعة بين صفوف الاشجار المثمرة الضيقة ,
كان عملاً يقف له شعر الرأس.. تمسكت
كارولين بمقبض الباب, وكان جسدها يجفل
كلما احتكت غصون شجرة بالسيارة .
منعطف آخر, ثم اخذا يسيران بمحاذاة
جانب الوادي على طريق لم تعرفه من قبل,
وخلال واي دارا حول القرية واتجها الى

الجبل, وبقلب يخفق بعنف , ويدين ترتجفان ,

تناولت حزام المقعد ووضعتة حولها .

هز فيليب كتفيه فقط وهو يستدير بالسيارة

حول احدى المنحنيات الحادة في الطريق الضيق

, وبعد لحظات كان الوادي بأجمعه مكشوفاً

امامهما .

رأت القصر يسبح في الضوء ورأت الناس

حتى وهم يرقصون او يقفون جماعات في

انحاء المكان , يتحدثون . اخذ قلبها وهي

تحاول ان ترى شكل لويس المميز ولكن
فيليب استدار بالسيارة بحدة في اتجاه آخر.
بعد منعطف آخر اصبح القصر على بعد
ساحق, واذهلها ان ترى العلو الشاهق الذي
بلغاه . منحنيان آخران حادان ويصلان الى
المكان الذي يصبح فيه الطريق ممراً خطراً بين
الجبال.

إنها لا تريد الذهاب الى هناك مع فيليب , لا
تريد ان يقود هذا الرجل المجنون السيارة بمثل

هذه السرعة الجنونية على ذلك الجزء الفظيع
من الطريق الذي كانت حافته عبارة عن
انحدار رأسي , نحو واد ضيق, يبلغ عمقه
مئات الأمتار.

صرخت به وهي ترتجف " اوقف السيارة يا
فيليب, المزحة هي مزحة , واذا كان هذا
يعجبك , فأنا .. خائفة , لكنني اريد منك
ان تقف لأنزل "

قال ساخراً : " وتعودين سيراً على الأقدام؟ في
هذا الثوب وهذا الحذاء العالي الكعب؟ "

– نعم, اذا اضطررت لذلك.

لم تكن تهتم مادام سيسمح لها بالذهاب من

هنا.

دار فجأة حول منحنى حاد آخر , فتصاعد

صرير العجلات ثم دارت بسرعة تشبثت

كارولين بمقعدها رعباً , وكادت تصرخ عندما

لم تعد ترى امامها سوى شيء أشبه بجدار

حالك السواد.

قفز قلبها رعباً , وظلت على هذا الحال حتى
ادركت انهما لن يسقطا عن الجبل , وإنما كانا
, في الواقع متوجهين نحوه مباشرة .
- لا بد انهم افتقدوني الآن .

وجربت بقنوط طريقة اخرى " سيفتقد لويس
سيارته , ولا بد انه قادم خلفنا , اتظنه لم
يلاحظ انوار السيارة ونحن نصعد ؟ انزلي
هنا , فيليب وستكون لديك فرصة للهرب !
امض في طريقك حتى يدركنا ويقتلك اقسام
بذلك !"

قال ضاحكاً " بدأت تخافين, أليس كذلك؟"
ثم استدار بالسيارة حول منعطف آخر في
الطريق.

كان يقود السيارة بعدم اكتراث جعلها تقع
على كتفه, وفي الوقت الذي اخذت فيه
تستقيم في مقعدها, كانت تنظر الى النجوم
وهي تتألق بين جدارين اسودين مشرقين,
وادركت بذعر انهما وصلا الآن الى ممر جبلي
ضيق, وصرخت بصوت حاد " فيليب!
توقف عن هذا , توقف!"

لكنه لم يكن ليتوقف عن شيء, لا عن
السيارة, ولا عن غبائه الذي جعله يتصرف
بهذا الشكل, وتمتم معنفاً " قد يكون انتقاماً
ممتعاً ان ارى وجه لويس عندما يراك هناك في
قعر الوادي بين حطام سيارته"
وضحك, فشحب وجه كارولين.
- لكنني لست جائعاً الى هذا الحد, خطتي
الأساسية تناسب فكري عن الانتقام بشكل
افضل.

- لا ادري.. ما الذي تحدث عنه .

قالت ذلك متلعثمة , من بين اسنان متوترة
بدأت الآن تصطك , وقال يناقشها " بل
تقدرين , انت من سلالة تعرف كل شيء عن
تقاليد العائلات القديمة , فإذا فكرت بي
فقط بصفتي المالك الشرعي لكل ما خلفناه
وراءنا من املاك , فإن تجد المرأة نفسها مع
سيد القصر لأمر يمنحهما بهجة اكبر مما لو
كانت مع الفلاح الذي تزوجته"

- لويس ليس الفلاح هنا, واذا ظننت انني
سأسمح لرجل آخر غير لويس بأن يلمسني ,
فأنت مخطئ أيّ خطأ.

قال ببطء وهو ينظر اليها متفحصاً " إذن
فأنت تتظاهرين بحب ابن الحرام ذاك , لماذا؟
هل تفضلين ان تدعيه يلمسك بينما
بإمكانك ان تغمضي عينيك وتري الكونت
بدلاً من مجرم نيويورك؟ "

- لا حاجة بي الى التظاهر , فأنا احب
لويس , ثم , هل لك ان تركز عينيك على
الطريق؟

واختنق صوتها عندما دار حول منعطف حاد
من دون اهتمام يذكر.

- كفى قلقاً , فأنا اقود سيارتي في هذا
الطريق منذ كنت مراهقاً , و أنا اعرف كل
التواء واخدود فيه من هنا الى قرطبة .

لم يكن امامها إلا ان تدعو الله ان يكون هذا
صحيحاً! كانت احدى يديها متشبثة بمقبض
الباب, والأخرى بحزام مقعدها.

نظر فيليب الى جلستها المتوترة , ثم دار
بالسيارة بعنف وتهور شديدين حول منعطف
آخر.

اغمضت كارولين عينيها غير قادرة على
النظر اكثر من ذلك .

وعاد بحدوء الى الموضوع الآخر " انت تزوجته
لأنه عرض عليك ان يدفع ديون أبيك , اذا
تزوجته , ولا علاقة لهذا بالحب "
قالت وهي تصرّ على اسنانها " لقد تزوجت
لويس لأنني لا احتمل العيش من دونه "
قال بمرارة لاذعة " كاذبة , لقد اشتراك ,
اشترك بنقود , اشتراك باسمه , اشتراك لأنه
الابن غير الشرعي لدون كارلوس فازكينز ,
وانت مستعدة للنوم في سريره , وامه الفاسقة
وطريقته المشبوهة في كسب الملايين , لأن

من الأفضل ان تغمضي عينيك وتظاهري

بأنه الدون فازكيز الكونت بدلاً من المحتال

الذي سرق من أسرته!"

- لويس لم يسرق منك.

- لقد سرق مني لقبى, سرق اموالي وبيتي!

سرق ما منحى الله إياه من حقوق مولدي .

وضرب عجلة القيادة بيده غاضباً فدعرت

واخذت تدعو الله ان يسلمها عند المنعطف

التالي.

- سأسرق منه شيئاً قبل ان ارحل عن هذا
المكان الى الأبد, سأسرق منه ليلة عرسه ,
وانتقامي منه هو معرفتي بأنه سيعلم كلما
لمسك انني انا اخذت عروسه الجميلة اولاً.

قالت ضاحكة " انسيت انني ولويس تزوجنا
مدنياً منذ ايام, لا يمكنك ان تسرق ما سبق
ان اخذه"

اصر قائلاً بعبوس " ليلة عرسه"

يا للجنون ! ويا له من مجنون ! قالت تجادله
بصوت مرتفع " انت الذي سرقت منه يا
فيليب , وليس العكس ! لست أخاه غير
الشقيق ! ان امك مخادعة كاذبة . لقد
احتالت حتى اخرجت اختها من حياة الدون
كارلوس لكي تأخذ مكانها ! اختلقت وضعاً
واستعملته بقسوة لأجل اهدافها . حرفت
كل الحقائق حتى تصور للدون ان والدة
لويس كانت تنام مع عشيق امك المتزوج !
وبعد ذلك احتلت امك ببراعة المكان الذي

شعر برحيل اختها, وذلك بعد ان سعت الى
إرسال اختها سيرين الى اميركا وهي حامل
بلويس"

صرخ بها " هذا كذب!"

وانحرفت السيارة بعدم ثبات فهبط قلب
كارولين, وتشبثت بما حولها خوفاً. حدثت
نفسها بفرع بالألا تجادله , بأن تتجاهله حتى
ينزل بها من هذا الجبل ساملة. لكنها لم
تستطع ان تكبح الكلمات التي تفجرت الآن

بعد اخفتها منذ قرأت الحقيقة الهائلة عن

أسرة فازكينز.

- بعد اشهر تزوجت امك من الدون

كارلوس وهي حامل من عشيقها بطفلها

الذي هو انت , فيليب.

قالت ذلك بإصرار مستشهادة حرفياً تقريباً

بكلمات والد لويس التعيس.

- اما والدك الحقيقي فهو أعز صديق للدون

كارلوس , صديقه المتزوج! وفي اللحظة التي

فتحت عينيك فيها في الصباح الذي ولدت
فيه رأى ابوك اعز اصدقائه يبادلہ النظرات
من خلال عينيك, عند ذلك علم ان امك
خدعته واستغلته لكي تضمن مستقبلها على
حساب شقيقتها! ومنذ ذلك اليوم نفسه
اصبح لويس وريث والده ولم يقل لك احد
قط شيئاً غير هذا.

- من اين عرفت كل هذا بحق الجحيم؟
صرخ بذلك بصوت مزعج وقد بدا عليك
للمرة الأولى , وكأنه يختنق بكذبه.

اجابت " من الدون كارلوس نفسه , فقد ترك
يوميّات مفصلة عن حياته , بما في ذلك
السنوات التي امضاها في البحث عن سيرين
وابنه الحقيقي , كما ذكر انه لم يخف هذا
السرّ عنك "

قال فيليب صارفاً بأسنانه " لقد كرهت ذلك
السافل , فقد بقي اربعة وثلاثين عاماً يبحث
عن ابن لم يره قط , بينما كنت أنا معه ,
انتظر الحب منه , ليته استطاع ان يرى ذلك
!"

قالت مقرة معه " كان مخطئاً بمعاملته إياك
بذلك الشكل , لكن خطأين لا يؤلفان
الصواب , يا فيليب ! وما تفعله انت هنا هو
خطأ ألا ترى ذلك؟"

رجت الله ان تؤثر فيه , وان تجعله يتعقل ,
فقد يقتنع ويعيدها الى القصر . لكنه اطلق
فجأة شتيمة بدا معها وكأن غولاً استولى على
روحه هذه اللحظة , واندفع فجأة مترنجاً ,
يدور حول منعطف آخر , مرسلًا النور

الأمامي للسيارة كاشفاً عن ذراع رهيب كبح
صرخة صامته في حلق كارولين.

هبطت عجلة السيارة في اخدود في الطريق
فانطلقت صرخة كارولين , اما فيليب فأخذ
يجاهد لإخراج العجلة , راح يسب ويشتم,
وهي تصرخ, بينما السيارة تندفع بعنف هنا
وهناك.

سيموتان , كانت واثقة من ذلك! سيسقطان
من حافة المنحدر الصخري ولن يعثر عليهما

احد! دفعها الرعب البالغ الى التمسك بيد
الكابح تجذبها بعنف .

فمالت السيارة ثم اخذت تنزلق جانبياً, بينما
جلست هي تنظر وقد اتسعت عيناها رعباً
وهما ينزلقان مقتربين شيئاً فشيئاً من حافة
الوادي.

ثم اصطدما بشيء صلب, هل هي صخرة
على الحافة؟ لم تعرف, لكنهما عادا الى

الخلف, وفي الوقت الذي ظنت فيه ان
السيارة ستتوقف بأمان, اصطدمت السيارة
بشيء آخر, فتصاعد منها صرير هائل, ثم
انقلبت على جانبها بهدوء.

جلست كارولين دقائق وقد ادارت الصدمة
رأسها, وتبلدت احساسها فلم تعد تتذكر
اين هي, واحست بألم في رأسها واذا بكل ما
حدث يتدفق عائداً الى ذهنها وهي ترفع
اصابعها تلمس برفق مكان الألم في صدغها,
مدركة ان رأسها اصطدم بشيء ما.

التفتت لتنظر الى فيليب مدعورة , فرأته
منحنياً على المقود غائباً عن الوعي.
مدت يدها تلمس عنقه بحذر وخوف بالغين
وشعرت بدفء الحياة ونبضه , همست
مرتجفة " آه , الحمد لله "
اغمضت عينيها وهي تكرر " الحمد لله "
اين نحن الآن؟ ماذا افعل؟ واين نحن في
الوادي؟

عند ذلك تذكرت ان مصباحي السيارة
الأمامين ما زالوا مشتعلين . تقدمت الى

الامام بحذر شديد واخذت تنظر الى الخارج
السيارة الأمامي , كانت معجزة انه لم يتحطم
, فتمكنت من رؤية طريق سوي, وكانت
حافة الوادي بعيدة الى يمينها.

لا بد ان السيارة انقلبت في الأخدود قرب
الجبل , عمت الراحة قلبها حين علمت
بذلك وهذا ما جعلها تسترخي في مقعدها
متنهدة تنتظر حتى تهدئ خفقات قلبها قبل
ان تحاول الخروج.

تذكرت ان فيليب اقفل الابواب اوتوماتيكيا,
ولكن لا بد ان هناك شيئاً ما , في مكان ما,
يمكنها ان تجذبه او تضغطة لتجعلها تنفتح,
وباصابع مرتجفة زاحفة على المعدن والجلد
الحالك السواد, استطاعت ان تجد شيئاً على
الباب شعرت ان بإمكانها جذبه , فجذبتة
بقوة وسمعت الباب يفتح.

بعد ذلك فكت حزام الأمان, ومن ثم جاءت
المرحلة الصعبة , وهي فتح الباب وتركه
مفتوحاً, اثناء خروجها, تعلق ثوبها بشيء ما

وسمعت صوت تمزقه, واثناء كفاحها فقدت
حذاءها لكنها اخيراً حطت كومة واحدة على
الطريق الصلبة وهي تستجمع انفاسها.

كان كل شيء هادئاً موحشاً جداً. فارتجفت

, ثم فجأة لم تستطع التوقف الارتجاف, ولم

يكن سبب ارتجافها هذا عائد الى البرد في

هذه الأعالي.

"إنها الصدمة, لا بد اني مصابة بصدمة,

ومن لا يصاب بذلك بعد محنة كهذه؟"

ابتسمت للفكرة الأخيرة , واشعرتها
الابتسامة بالتحسن, وزحفت واقفة على
قدميها الخافيتين, ثم اخذت تدرس الوضع
بعناية.

من الواضح ان فيليب في حاجة الى عناية ,
وكان هذا اول اهتماماتها , لكن المساعدة
بعيدة جداً جداً.

ليس هناك خيار, ومن الأفضل ان تنتظر ,
فلاشك ان احداً افتقد غيابها ! لويس على
الأخص.

وفي هذه اللحظة سمعته, لم يكن الآن اكثر من هدير بعيد جداً, لكنه كان هدير سيارة يخف ويعلو وكأنه يدور حول جبل.

جلست على الأرض مسندة الى السيارة المنقلبة و الراحة تزحف الى قلبها وفي هذه اللحظة وضعت رأسها الذي عاد يؤلمها , بين ركبتيها اللتين احاطتهما بذراعيها المرتجفتين . انه لويس جاء يبحث عنها, ولم تسمح لنفسها بالتفكير في انه قد يكون شخصاً آخر, وفي الواقع كانت خطة فيليب في

اختطافها غبية , فهل ظن ان باستطاعته
الهرب بالسيارة من دون ان يتعقبه لويس,
هل اعتقد حقا انه سيصل الى حد إغوائها ؟
يا للمعتوه الأحمق! ولأنها تعرف لويس,
تعرف ان الطريق المؤدي الى لويس اميتوس
قد بات مقطوعاً.

كانت السيارة تقترب , وكانت تسمع
الطريقة الانسيابية البارعة في قيادة السيارة
التي كانت تلتف حول المنعطفات والزوايا و

استطاعت حتى سماع تغيير محرك السرعة
والكابح و الزيادة الثابتة في السرعة.
ثم برز فجأة من خلف المعطف الأخير من
دون إنذار, واستغربت ذلك وهي ترفع رأسها
تنظر اليه وهو يوقف سيارة غريبة على بعد
عشر اقدام تقريباً.

لم يخرج من السيارة على الفور , بل جلس
مسلطاً الضوء الأمامي عليها , ثم كما
فترضت , اخذ ينظر اليها وهي تنظر اليه.

ثم انفتح بابه, احتكت قدماه بالخصي,

واخيرا بدا جسمه بكامله, لم تستطع ان ترى

وجهه, حسناً كان يمكنها ذلك لو نظرت

اليه, لكنها لسبب ما لا يمكن تعليقه, لم تشأ

ذلك.

سار نحوها, ثم توقف على بعد قدمين ثم القى

نظرة حولهما, كان المكان ساكناً هنا بحيث

يمكن سماع حفيف ورقة شجر تحملها نملة,

السماء كحلية اللون ترصعها النجوم,

والجبال الشاهقة أشبه بعمالقة تقف

بالمرصاد.

– اين هو؟

وكان هذا اول سؤال يوجهه اليها , وجهه

برقة وصوت متزن , فاجابت " في السيارة

غائباً عن الوعي "

اوما لويس برأسه , وكان هذا كل شيء , اذ لم

يوجه اليها مزيداً من الاسئلة , بل لم يلق

نظرة على فيليب , اشار بإصبعه فانفتحت

ابواب السيارة الاخرى التي كان يقودها ,

وخرج منها ثلاثة رجال , احدهم فيتو ,
وتقدموا نحوهم , فقال " تصرفوا معه "

شعرت كارولين بدمها يتجمد " لا , يا لويس ,
إنه مصاب وهو بحاجة الى مساعدة أنا... "
انحنى يحملها بين ذراعيه , ثم سار نحو السيارة
التي وصل فيها , وكانت هي تتخيل مظهرها
المضحك في ثوبها الابيض هذا الذي اصبح
ممزقاً ملوثاً , ونقابها الطويل تجره على الأرض
الترابية خلفهما .

وعندما وصلا الى باب السيارة , عند ذلك
فقط جرؤت على النظر الى وجه لويس , وما
رأته فيه جعل الدموع تنهمر من عينيها لأول
مرة منذ بدأت محنتها هذه , وهمست وهي
ترتجف " إياك .. إياك ان تصدني عنك "
لم يجب , وضعها فقط في السيارة ثم استدار
ليجلس بجانبها. تحركت السيارة ثم انطلقت
بهما , متابعين النزول عن الجبل , ذلك انها
رأت بنفسها ان الطريق , من الضيق هنا ,
بحيث لن يمكنه الاستدارة بالسيارة .

عندما مرا بالسيارة المنقلبة رأيت فيتو يخرج
فيليب من السيارة , لكنه كان رفيقاً به وهو
يمدده على الطريق لكي يفحصه , وقد طمأنها
قليلاً ان ترى هذا الرفق .

بعد مسير نصف ميل , اوقف لويس السيارة
حيث اصبح الطريق اوسع قليلاً , ثم استدار
بالسيارة ليعودا من حيث جاءا , وعندما مرا
بجانب السيارة المقلبة مرة اخرى , لاحظت ان
سيارة اخرى كانت متوقفة بجانبها وان فيليب
كانت واقفاً على قدميه , مستنداً عليها

بضعف ووجهه بين يديه, بينما سائر الرجال
يكافحون لجرّ السيارة الى مكان آمن,
وسألت لويس بلهفة " لن يؤذوه, أليس
كذلك؟"

قال " لا"

طمأنها هذا الجواب, فتنهدت, ثم اخذت
ترتجف, فسارع لويس الى فتح جهاز التدفئة
, لكن الارتجاف استمر.

ادركت انها صدمة وليست برداً, وربما ادرك
لويس هذا هو ايضا.

- اخبريني ماذا حدث بعدما ترك ذلك
النادل الأحمق فيليب يقنعه بأنه أنا لكي
يغريك بالخروج الى سيارتي.

- سأخبرك عندما تبدأ بالصراخ والشتيم ,
وليس قبل ذلك.

قالت له ذلك بفتور , فقال واصابعه تتوتر
حول المقود " لا بأس , دعينا نعالج اولاً
مشكلتك مع سيطرتي على نفسي , هل
تريدون ان تري الرجل ميتاً؟ أتريدون ان تري

رأسه متدلياً من جدار القصر؟ أتريدون ان
تريني أقود بك السيارة الى فوق الجبل كما

انزلك هو منه؟"

قالت " لا"

وكان في هذا جواباً لكل اسئلته , فكرر قائلاً
بهدوء " اخبريني إذن عما حدث بعدما اخذك

بسيارتي؟"

اخبرته بكل ما حدث بما في ذلك السبب الذي
جعل السيارة تنقلب.. الشيء الوحيد الذي

اغفلته هو الشجار العنيف الذي دار بينها

وبين فيليب عن والد لويس.

اثناء ذلك مرا بالقرية, حيث كان الجميع في
الخارج, وكان ذلك أشبه بالمرّة الأولى التي مرا

بها من هنا. إنما حينذاك كان الوقت نهاراً

وكان الفضول بادياً على الوجوه, اما الآن

فقد بدا القلق و اللهفة و الشحوب على

الوجوه, وهكذا لوحث لهم بيدها باسمّة, وهي

تتمنى ألا يدركوا انها على وشك ان تنفجر

بالبكاء.

وكان الأمر نفسه حين وصلا الى القصر , اذ
اجتمع الجميع حول النافورة , ينتظرن بلهفة
, ولكن لويس اوقف السيارة ثم طلب منها ,
ان تبقى حيث هي .

خرج متجاهلاً الجميع , ثم دار حول السيارة
ليحملها من مقعدها , شهق بعضهم عندما
رأوا حالة ثوبها الجميل ووجهها الشاحب .
تقدم ابوها يمسك بيدها , وكان يبدو مخيفاً .

قالت تطمئنه باسمه " انا بخير "

قال بصوت أبح " لا يبدو عليك هذا "

كررت قائلة بحزم " بل انا كذلك .. كذلك "

- ومع ذلك , سآتي معك .

وكان هذ صوت زوج عمة لويس الذي سار

الى جانب لويس وهم يدخلون الى الردهة

الكبرى و ابوها ما يزال متشبثا بيدها ,

كونسويلا كانت اول شخص رآته في

الداخل . كانت واقفة بجانب مائدة الوليمة

ووجهها بالغ الشحوب " انزلي يا لويس "

وقف , لم يستجب على الفور , فقالت

بإصرار " انزلي , ارجوك "

وضع قدميها على الأرض الحجرية الباردة

دون ان يتفوه بكلمة ولما تركها سارت

كارولين الى كونسويلا ثم , ببساطة , وحرز ,

طوقت المرأة المسنة بذراعيها.

تصلب جسم كونسويلا فظنت كارولين انها

ترفض ذلك , ثم ادركت ان الأمر فقط هو ان

كونسويلا لم تكن معتادة على ان يطوقها

احد بأي شكل . ومع انها تستحق العقاب

لما فعلته بأختها , فقد دفعت الثمن , فقد

عاشت خمسة وثلاثين عاماً في زواج عقيم

قاحل, والعيش في حرمان زوجي لا وجود فيه
للحب او العطف , وهمست في أذنها فقط "
لا بأس , إنه بخير, ورجال لويس يعتنون به "
- ما كان له ان يفعل ذلك.

قالت كونسويلا هذا, ولكن بعض التوتر تبدد
منها , وقالت كارولين تشرح الأمر بركة " إنه
شعر بالمرارة, ولديه الحق في ذلك , يا خالة
كونسويلا"

نظرت المرأة الى وجه كارولين متفحصة , ثم
تنهدت بلهجة ذات معنى .

– اعطاك الكاهن اليوميات, إذن !

وعندما أومأت كارولين , أومأت هي ايضا ,
وكان هذا كل شيء , لقد فهمتا , فإن قرأت
كارولين اليوميات , فهذا يعني انها تعلم بأن
حياة لويس في احياء نيويورك القدرة الفقيرة لم
تكن اسهل من حياة فيليب الذي عاش هنا
مع أب يزدريه ومع أم سجنت نفسها في
سجن من المشاعر والندم عما فعلت , ثم
قالت كونسويلا " سرحل من هنا الليلة "
جعل قرارها هذا كارولين تنظر اليها بقلق.

- انت لست مضطرة لذلك , يا كونسويلا ,
فهذا بيتك , وهو بيت فيليب , ألا يمكننا ,
على الأقل , ان نعيش هنا معاً؟
- لا .

وهزت كونسويلا رأسها " في الواقع , سأكون
مسرورة برحيلي , لقد حان الوقت لكي نبدأ
حياة خاصة بنا "

وافقتها كارولين على ذلك لأسباب كثيرة ,
ففيليب بحاجة للابتعاد عن هذا المكان ,
وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يتعلم بها

التخلص من شعوره بالمرارة , نبه صوت
سيارة اخرى قادمة كارولين الى عودة الآخرين
, وكان اهتمامها الفوري هو إبعاد لويس عن
الردهة قبل ان يدخل رجاله فيليب اليها.
تركت كونسويلا وعادت الى لويس, كان
عابساً كبير الحجم وهذا ما جعل عينيها
تغرورقان بالدموع وهي تسير عائدة اليه ثم
التفت الى زوج عمه لويس , قائلة " فيليب
بحاجة اليه أكثر مني دكتور"

مضت لحظة بدا فيها وكأنه سيناقشها , لكن
نظرة منه الى لويس جعلته يغير رأيه ويومئ
بالايجاب , ثم عانقت أباها وقبلته قائلة
بهدوء " أراك غداً "

لقد فهم هو ايضاً انها صرفته , ووقف ينظر
اليها وهي تضع يدها النحيلة في يد لويس
الخشنة , قبل ان يصعدا السلم.
وخلفهما , لم ينطق احد بكلمة .

اخذها لويس مباشرة الى الجناح الخاص بسيد
القصر, كانت غرفة ضخمة فسيحة مليئة
بالأثاث المزخرف والتحف الأثرية , وما إن
نغلق الباب خلفهما حتى شعرت كارولين
بردة فعل عكسية, إذ ضعفت ساقاها فجأة
فسارت الى اقرب كرسي تهبط عليه وهي
ترتجف .

دخل لويس الى الحمام , وبعد عشر دقائق
سمعت صوت جريان الماء , وعندما عاد الى
الغرفة , رآها جالسة وقد اخفت وجهها بين

يديها. توتر فكه, ولكن كان هذا كل ما بدا
عليه من ردة الفعل وهو يأتي ليقف بجانبها,
ثم انحنى برفق ليرفع الإكليل والنقاب عن
شعرها قبل ان يعود فيأخذها بين ذراعيه, ثم
قال ملطفاً الجو " آه, ما أجملك!"
لكنها لم تتجاوب مع هذا. فحملها الى
الحمام متوتر الشفتين عابس الوجه, اوقفها
على قدميها ثم ادار ظهرها اليه لكي يستطيع
فك الأربطة الحريرية التي تمسك بالقسم
الأعلى من ثوب الزفاف.

- إن لم تبدئي بالحديث معي , فسأغضب.
إنفكت الأربطة وانزلق الثوب فارتفعت يداها
تمسكه وتستدير لتواجهه بحدة " لويس!"
التهبت عيناه , فالغضب البالغ الذي طال
كفته تفجر الآن من هاتين العينين المتألفتين
السوداوين المحرقتين, ثم حملها ليعانقها.
وعانقها عناقاً مدمراً, ورفعت ذراعيها تحيطان
بكتفيه العريضتين, لم تعد تهتم الآن بانزلاق
ثوبها او بساعديه اللذين يهددان بتحطيم
ضلوعها. فالمهم الآن هو شعورها به يرتجف

ويحاول استعادة سيطرته على نفسه امام

المشاعر التي اخذت تتدفق منه .

قالت " احبك , لشد ما احبك , لكنني

أكره تحفظك هذا! "

– إما ان اسيطر على نفسي و إما ان ادمرك

.

وكان معنى هذا , يعني كل كلمة قالها مهما

بدت خيالية , اخذ يقبلها , موقفاً كل حديث

آخر , فالعمل , في هذه اللحظة , أهم كثيراً

بالنسبة اليه من الكلام .

تخللن شعره بأصابعها ونظر اليها متفحصاً من
تحت اهدابه السوداء , وكانت تبدو لعبوباً
مغربية, زوجة على أتم استعداد لكي تقدم الى
زوجها الأسباني المحموم العواطف مايريده.
عادة الى غرفة النوم , سائرين على السجادة
الهندية التي لا تقدر بثمن والتي تغطي الأرض
المكسوة بخشب السنديان , سارا الى السرير
الذي بدأ اشبه بجزيرة يمكن العيش عليه
بسهولة وقتاً طويلاً طويلاً.

وحتماً, لم تكن كارولين تريد ان تغادره ,
كانت تريد ان تتكوم تحت ملاءاته الناصعة
البياض والمغطاة بغطاء احمر دموي من نسيج
البروكار لكي تنعشها العواطف المحمومة من
رجل ليس له مثيل.

وفي الخارج خلف جدارن تبلغ سماكتها اربع
اقدام , استمرت الحفلة بدونهما , وفي مكان
آخر , في جناح آخر من القصر , كان
شخصان يجزمان امتعتهما.

تمت كارولين بضراعة بعد وقت طويل, وهما
مستلقيان بجانب بعضهما بعضاً" لويس ..
هل يمكننا ان نتحدث عن فيليب؟"
دمر كلامها جمال هذه اللحظة , فتوتر
جسمه وانقبض فكه, وقال بصوت مضغوط
غير مشجع " إذا كان ثمة ضرورة لذلك "
لكنها قالت على كل حال " اعرف ان لديك
كل الحق في ان تكرهه هو و أمه, واعرف انه
تصرف الليلة بشكل مروع , ولكن ... "

ومالت اليه قليلاً تنظر بلهفة الى عينيه
الباردين كالثلج " ليس ذنبه ان امه اختلقت
اكاذيب عن أمك او أنها خدعت واحتالت
على أبيك ! وليس ذنب فيليب انك عشت
طفولة تعيسة , إنه ابن خالتك الذي كانت
حياته هو ايضاً تعيسة , كما تعلم! فهو نشأ
وظلك يهدده مع أم لا تكاد تستطيع
مواجهة نفسها لما فعلته بأختها , ومع أب
مزعوم نبذه منذ ولادته وكره أمه لأنها وضعت
في مكانك . كل هذا محزن و مأساوي , وانا

اعرف ان لدى أبيك الحق في الشعور بالمرارة
، وهو يكتب كل هذا ، لقد حطم قلبه
بتصديقه خالتك بدلاً من أمك ، وامضى
بقية حياته معاقباً نفسه لذلك ، ولكن يجب
ألا نجعل فيليب يدفع الثمن ذلك..."

– ماذا تعين بقولك ان أبي كتب كل هذا؟
شهقت مذعورة وهي تدرك ما فعلت ، ثم
تنهدت طويلاً ، وابتسمت ابتسامة ملتوية قبل
ان ترفع عينين كئيبتين الى عينيه المحملتين
فيها " كتبه في يومياته "

ثم اخذت تحدّثه , بهدوء ونعومة بكل ماتعرف .
وعندما سأها لويس اخيراً عن مكان
اليوميّات اخبرته , فنهض من سريره وارتدى
معطفه المنزلي ثم خرج ليحضرها .
بعد ذلك بوقت طويل , وهو عائد من غرفة
كارولين , رأى فيليب و أمه على وشك
مغادرة القصر , وقف ينظر اليهما من الممر
الأعلى , ورأى ملامحها الواجمة الكئيبة وشعر
بشيء يتمزق في الحجر الذي كان معروفاً بأنه
قلبه .

– فيليب .

ناداه فرفع هذا رأسه ينظر الى أعلى وتابع
لويس قائلاً بهدوء " نحن بحاجة للتحدث معاً "
سرعان ما رأى لويس روح المعركة تأخذ
مكانها خلف العداء الذي يسود ملامحه
الوسيمة , ومالبث فيليب ان تنهد وهو يومئ
برأسه , واجاب " في يوم ما "
ربما هو , مثل لويس , شبع من الأكاذيب
والغدر و المرارة وكرر مرة اخرى وهو يتعد
" في يوم ما ... "

اخذ لويس ينظر بجد بالغ الى حالته وهي
ترفع اليه وجهها الشاحب " انا آسفة "
كان هذا كل ما قالتة . ولكن لويس فهم .
وعلى كل حال , ماذا يمكنها ان تقول غير
ذلك لكي تمحو كل ما حدث؟

وعندما عاد الى غرفته , لم يجد زوجته , القى
باليوميات على السرير ثم ذهب يبحث عنها
فوجدتها غارقة في الرغبة الساخنة المعطرة في
الحمام.

فقال بهدوء " رأيت فيليب وخالتي الآن وهما

راحلان "

اومأت كارولين " لقد اخبرتني بأنهما سيغادران

القصر الليلة "

تنهد " لم أكن اريدهما ان يرحلا , لم أكن

افكر قط في طردهما من هنا. الأسرة هي

الأسرة "

أومأت قائلة " مهما كانت العيوب , اعرف

هذا "

مشيرةً بذلك الى عيوب ابيها , ومدت يدها
تمسك بيده تقبل اصابعه , ثم سألته " هل
قرأت اليوميات ؟"

- هممم ... نعم . كنت اعرف بعضها , اولاً

أمي , وبعد ذلك من أبي , عندما حاولنا

اخيراً التواصل .

- منذ سبعة اعوام .

تنهدت كارولين بكآبة , وهي تفكر في كل

تلك السنوات التي ضيعها .

– نعم, منذ سبعة اعوام عندما قمت برحلة
الى اسبانيا مطالباً, بكل كبرياء بجذوري,
ولكني وقتذاك تعرفت الى المرأة التي طالبت
بي بدلاً من ذلك.

– آسفة.

قالت ذلك وهي تفكر بالقسوة التي استغل
بها أبوها احدهما ضد الآخر.

– اخبرت أباك يومذاك بأنني احبك واريد ان
اتزوجك, فقال لي بأدب انني لست كفواً

لابنته, وقد وافقته على ذلك. ومازلت في

الحقيقة.

اضاف ذلك عابساً , فأضافت هي باسمه " لكنك كنت ستحصل عليّ بأي شكل , لا فرق يذكر بينكما , انتم الثلاثة , انت و أبي و المسكين فيليب , لدى كل واحد منكم دوافع أنانية يشكل غير معقول "

- كان فيليب على حق حين قارن حياة أبي بحياة جدي الذي بنى هذا القصر , فهو

التاريخ يعيد نفسه.

تمت تقول بنعومة " ولكن ليس هذه المرة ,
لقد حصل الكونت , هذه المرة على امرأته ,
وهكذا كانت النهاية السعيدة "
امتألت عينا لويس رضاء " ونهاية سعيدة
جداً "

وانحنى يقبلها ...

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية
زوروا موقع مكتبة رواية

www.rivaya.live

هذه الرواية إهداء خاص و حصري
رابط قناة روايات عبير على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تتلم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات
عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية
الحصرية و المميزة

النهاية